بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٨ ، ع٤ ، ٢٠٠٥

قيمة الاشتراك السنوى:

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد:

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم*

تضافر العناصر الموصولة مع العناصر اللغوية الأخرى في تماسك النص

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا

١/٠ : الإطار العام :

١/١ : موضوع البحث :

أشير إلى أنني أحاول أن أركز على عدد من العناصر لها أهميتها، تُعد ركناً أساسياً فـي علـم لغـة النص؛ أعني العناصر الموصولة، وقد شهدت العناصر الإحالية والإشارية اهـتماماً مـن الباحثين المحدثين[1]، غير أنني لم أر دراسة خاصة بالاسم الموصول، تتعلق

---

* يقـول ابن يعيش: فالصلة مصدر، كالوصل من قولك : وصلت الشيء وصلاً وصلة، والمراد أن الجملـة وصل له، فأمَّا تسمية سيبويه لها حشواً، فمن معنى الزيادة؛ أي أنها ليست أصلاً، وإنما هـي زيـادة يتمم بها الاسم ويوضح بها معناه، ومنه فلان من حشو بني فلان؛ أي من أتباعهم، وليس من صميمهم . شرح المفصل ١٥١/١، ويفضي بنا هذا التنويه إلى رأس الملاحظ، ونوردها على وجه الاختصار:

١ـ وقد اخترت تسمية الجمهور (صلة) على تسمية سيبويه (حشواً) ؛ لأن تسمية :

أ ـ الجمهور فيها مايشير صراحة إلى الوظيفة الحقيقية للاسم الموصول .

ب ـ وتسـمية سـيبويه فـيها عكس ما في رأي الجمهور، إذ يشير إلى أنها حشو، أي زيادة، وبناء على ذلك يمكن الاستغناء عنها، وهذا عندي يحتاج إلى إعادة نظر.

ج ـ أن تفسير ابن يعيش لكلام سيبويه، فيه ما يوحي بأنه يمكن الاستغناء عنه، وهو رأي فيه نظر، خاصة (كما سيأتي في : ٢/٠) أن جمهور النحاة قد اجمعوا على أن جملة الصلة تتبوأ جميع الحـالات الإعرابـية من رفع ونصب وجر، وتمكنها هذه الموائز من اعتبارها أساسية في الشان، خاصـة وأنه يقربها من المبتدأ والخبر، ومالنا نذهب بعيداً، وقد ذهب النحاة إلى أنها جملة خبرية (يـنظر: شرح المفصل ١٥٠/٣) ينطبق عليها ما ينطبق على تلك، والجملة الخبرية، ليست محل جدال بين النحاة في اعتبرها أساسية وليست فضلة .

١ أثبـت بعـض الدراسات في هذا الشان على سبيل التمثيل لا الحصر، منها من أشكال الربط في القـرآن الكـريم د.سعيد حسن بحيري. نسيج النص للأزهر الزناد، علم اللغة النصي د. صبحي=

بعلـم لغة النص ـ في حدود ما أعلم ـ على الرغم من المقاربة بين اسم الإشارة والاسم الموصول، والتي أشار إليها النحاة في أكثر من موضع .

ومـن ثـم فـإن البحث يركز على دور الاسم الموصول في انحباك وانسباك بنية الـنص، ويأتي هذا الدور من خلال مستويات عدة متشابكة حيناً ومفارقة حيناً آخر، إلا أن التشابك والتفارق ـ على الرغم مما يبدو من اختلاف ـ يعمل كلاهما معاً على تماسك بنية النص، كما يأتي ذلك بفضل بيان من البحث .

١/ ٢ : أسباب اختيار البحث :

١ـ لـم أجـد أحـداً مـن الباحثيـن المعاصرين ـ على حد علمي ـ تعرض لدور اسم الموصـول فـي تماسك بنية النص، على الرغم من اهتمامهم الخاص بقضايا أخرى كثيرة ومكررة لديهم جميعاً .

٢ـ الكشف عن نموذج للإحالة خاص باسم الموصول وبيان السمات المميزة له .

٣ـ توسيع رؤية نحو الجملة بالنسبة للاسم الموصول من خلال ما توصلت إليه اللسانيات النصية، ويعد القرآن الكريم مادة ثرية لهذا الجانب التطبيقي .

٣/١ : مادة البحث :

تقوم هذه الدراسة على مادة محددة، وهي القرآن الكريم، فيما يتعلق باسم الموصول .

٤/١ : الدراسات السابقة :

أنجـز عـدد من الدراسات في العربية تقع في حوزة علم لغة النص، وهي توجه أهميـتها تلقاء الضمائر ودورها في انسباك وانحباك النص، وتأتي في إطارين، الأول : ما دار حـول " نحـو الجملة "، ويمثله ما قدمه صاحب كتاب " الإبهام والمبهمات في النحو العربي " . الثاني : راح يقدم تصورات القدماء وتطعيمها بمعالجات حديثة، ومن ثم نستبين الاثنيـن معـاً؛ تصورات القدماء، ورؤية المحدثين . وعلى الرغم من الخطوة المهمة التي عـرض لها صاحب كتاب : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، في التحليل والمعالجة،

= إبراهيم الفقي، ولكاتب هذا البحث فصل في رسالته للدكتوراه : دلالة التراكيب عند الزمخشري، بعـنوان : البنـية الدلالـية والإحالية للضمائر: الفصل والشأن والإشارة، غير منشودة بكلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩م .

ممـــا ينبئ عن طرح القديم برؤية جديدة، إلا أن الذي ظل ماثلاً، أنه لم يستطع التخلص من معالجـــة القماء، وعلى ذلك لم تتعد المعالجة عنده حدود أسوار الجملة، ذلك أن معالجته لم تتعد الجملتين في أقصى الحالات الواردة لديه .

أمـــا دراســـة محمد اليعلاوي : ملاحظات في لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول، فهي تعالجها من منظور متمايز، خاصة أنها تركز على الاستعمالات التي ندت عـــن رؤيـــة الـــنحاة والمفســـرين في طرح حلول لها، إضافة إلى تبدل هذه الأدوات عبر الـــتاريخ، وكـــيف كانـــت حـــتى صـــارت أمراً مقضياً، واعتمد في ذلك على رؤية الباحث الإنجلـــيزي رابيـــن، وحاصل ذلك أنها تغدو في التداول تلقاء جوانب عدة ومختلفة عما هو معتمد هنا، على الرغم من كون الأدوات واحدة .

أمـــا ما أورده صاحب كتاب : "الضمائر في اللغة العربية" فإنه نظر نظرة القدماء، ولـــم أر شـــيئاً مرضـــياً فـــيما يتعلق بالمعالجات اللسانية النصية، التي يمكن أن يقدم بها الضـــمائر ودورهـــا فـــي تماســـك النص، وعليه، فإن معالجته مفارقة عما نريد بحثه في الانطلاق من رؤية " نحو الجملة " وتوسيع النظر فيها، فيما يمكن أن تكشف عن جوانبه عناصر هذا البحث .

١/٥ : أهداف البحث :

١ــ توضيح أهمية اسم الموصول في انسباك وانحباك بنية النص القرآني .

٢ــ اســـتخلاص " قاعدة النص " لكل ضمير على حدة، وصولاً إلى قواعد النص الحاكمة للموصولات في النص القرآني .

٣ــ الكشـــف عـــن العناصر اللغوية الحاكمة، والتي لا تقل أهمية عن اسم الموصول، بما يشكل منها سمات نصية مهمة .

٤ــ بـــناء على ما ورد في (٢) ، (٣) نستطيع استخلاص "محدد النص" وهو حسب رؤية إيزنبرج : السمات العامة التي يتشكل منها النص .

١ /٦ : منهج البحث :

كنت قد قدمت تصورات الباحث الألماني إيزنبرج حول نظرية النص[٢]، ويعد طرحاً نظـرياً، يحــتاج إلى أن نختبر جوانب معاييره، فيما يقدم إضافة واعية في إثراء جوانب البحث في العربية .

٢/٠ : ملاحظات حول تصورات نحو الجملة :

فـرّق بوســمن تفريقاً مبيناً بين الضمير الموصول Relativpronamen وجملة الصـلة Relativsatz، وذهــب إلــى أن اســم الموصول يمثل القواعد المباشرة للأسماء (العبارة الاسمية أو حدود الجملة) : العلاقات وتقسيم العناصر الوصفية مثل ضمير الإشارة Demonstrativpronamina، أمــا جملة الصلة Relativsatz، فهي أن تقسم القواعد ــ حســب رؤية بوسمن ــ العامة الواردة في الضمير الموصول، أو فيما يرتبط به، وبالتالي تقسم عناصر جملة الصلة إلى :

١ــ الضمير الموصول (الذي، التي، أي) .

٢ــ صفة الموصول (أين ، متى، .....) .

٣ــ ويمكن أن يكون الاسم الموصول عنصراً أساسياً كأن يأتي خبراً[٣] .

وإذا تدبرنا الأمر مع معالجة النحاة العرب وجدناها تكاد تكون واحدة، وبالتالي فإن موجز رؤية نحو الجملة واحدة، بيد أن التمايز في أن " نحو النص" يوسّع من هذه الرؤية، ويفيد من المنطلقات القديمة ولا يلفظها .

تعــد جملــة الموصول في الألمانية من الجمل الجانبية Nebensatz، بمعنى أنها فرعــية، وأرى أنها جملة ذات صلات شابكة؛ أي أنها ذات صفتين تبدوان متناقضتين، غير أن مــن يــرجع النظر يجدها كلاً منها تتسق مع الأخرى، فإذا حاولنا أن نطبق هذه الرؤية علــى العربــية تحديــداً، وعلى النص القرآني على وجه أخص، تبَيّن لنا مدى اتساقها مع العربية، ويتبدى ذلك من خلال ملحظين يبينان ذلك :

---

٢ أشــير إلــى أن هــذا البحــث بعنوان : العناصر الأساسية المكونة لــ" نظرية النص" إيزنبرج نموذجاً، دراسة تحليلية نقدية .

٣ ينظر:

Hadunad Bussmann : Lexikon der Sprachwissenschaft ; S . ٦٤٣, ٦٤٤ .

الأول : مـــا يتعلق بالإحالة المعجمية، سواء مع الذين أم الذي أم التي كما ورد في مواضع من البحث .

الثانـــي : مـــا يـــتعلق بالمواضـــع المشـــاكلة في النص القرآني، دون أن ترد فيها الإحالة المعجمـــية باســـتعمال الاسم الموصول في الآيات التاليات (البقرة : ٦٤، ٦٦، ٨٩، ٩٩، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥٨) على سبيل المثال .

ويتـــبدى مـــن خلال ذلك أن جملة الصلة، إنما هي جملة زائدة في المبني، وعلى الـــرغم من ذلك تؤدي إلى زيادة في المعنى، حسب عبارة ابن يعيش، وبالتالي فإن وظائف جملـــة الصلة هي تلك التي وردت أو تمثل عناصر البحث الأساسية هنا، غير أننا يمكن أن نلاحـــظ أنهـــا وظـــائف يمكـــن أن تكون إضافية، بيد أنه من يمعن النظر يجد أن جل هذه الوظـــائف قائمـــة علـــى التماسك بين أكثر من جملة، وبالتالي فإن هذه الدراسة تحاول أن تظهر وظائف جملة الصلة، فيما له صلة بالتماسك النصي في القرآن الكريم .

أشـــار النحاة* إلى أن ألفاظ الأسماء الموصولة هي : الذي والتي واللذان واللتان (بـــالألف والـــياء). والألي، والذين، واللاتي، واللائي، واللواتي، وما ومن وأيّ وأيّة، وذو الطائية، وذا بعد ما الاستفهامية واللام[٤] .

بيد أن هذه الأدوات ليست واحدة من حيث اطرادها في القرآن الكريم، واكتفى بأن أشير إلى الإحصاء الذي قدمه اليعلاوي[٥]، كما يلي :

النوع	المفرد	المثنى	الجمع
المذكر	الذي : ٢٨٨	اللذان : ١ الذين : ١	الذين : ١٠٨٦
المؤنث	التي : ٦٧	اللتان : ٠ التين : ٠	اللاتي : ١٠ اللائي : ٦

* لم أشأ أن أذكر تعريفات الاسم الموصول من حيث الإبهام والدلالة والتركيب، فذلك أمر مقرر في الـــدرس الـــنحوي، وقد كفاني مؤونة البحث في ذلك ما قدمه د. إبراهيم بركات من معالجة وافية ينظر: الإبهام والمبهمات في النحو العربي ص٥١ : ٦٦.

٤ الرضى : شرح الرضى على الكافية ٣/١٦ . وينظر ابن يعيش : شرح المفصل ٣/١٣٨.

٥ محمد اليعلاوي : ملاحظات في لغة القرآن الكريم من خلال اسمَي الإشارة والموصول ص٧٤ .

ويستيقظ نظرنا في الجدول السابق أمورٌ هي :

١ـ أنــه لم يحتو إلا على عدد محدود من الأسماء الموصولة، وترك ما أورده "الرضى" : مــا، من، أيّ، أيّة، وذو الطائية، وذا بعد ما الاستفهامية، واللام، وبالتالي لم يذكر منها إلا زيــادة علـــى النصف تقريباً، بناء على العدد الإجمالي، وربما يكون إسقاطه هذه الأدوات؛ لأنهــا إما خلافية لدي النحاة، وإما لكون ورودها في القرآن قليلا، و خلاصة ذلك، أن هذه الأسماء يمكن تقسيمها، كما يأتي :

الفــئة الأولــى : تمــثلها : الذين، الذي، التي، من، ومن ثم تمثل الأكثر وروداً في القرآن وتركيزاً عليها في هذا البحث .

الفئة الثانية : تمثلها عندي حسب الورود : من، ما، اللاتي، اللائي من حيث مناقشتها .

الفئة الثالثة : تمثلها : أيّة، ذو الطائية، واللام، وهي التي تمثل خروجاً عن القياس إلى حد الســماع أو الحــالات النادرة، ويتحصّل لنا مما سبق عدد من الملاحظ نوردها على سنة الاختصار:

١ـ أن حاصــل عناصــر " الفئة الأولى " أنها تمثل في جملتها العناصر الأساسية المكونة لاسم الموصول في القرآن الكريم، والقضايا الأساسية لعناصر هذا البحث .

٢ـ يتحصــل مــن " الفئة الثانية " أنها تمثل قيمة لا تنكر في إظهار عناصرها، وهي وإن كانت تلتقي في بعض الجوانب مع أسماء " الفئة الأولى "، بيد أنه رغم ذلك تبقى لأدواتها سياقاتها، وإن تداخلتا في بعض الجوانب .

٣ـ لا تمــثل عناصر " الفئة الثالثة " أية أهمية فعلية في كشف جوانب أخرى، تضاف إلى عناصــر الفئتيــن السالفتين الذكر، ولذا فإن قيمة عناصرها تمثل الصفر، وعليه، فإنه لن يكون لأدواتها قيمة فعلية في هذا البحث .

وســوف ندلل على الأسباب الداعية لإهمالنا للعناصر المكونة للفئة الثالثة، خاصة وأن ورودهــا في القرآن الكريم يشكل في عاقبة الأمر الصفر، كما أنها حسب رؤية " نحو الجملة " قائمة على التقعيد، وبالتالي والأجدر أن يعرضوا لها؛ لأن الغاية هنا وثمة ليست واحدة .

أورد النحاة أن معنى الموصول : لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسماً، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومضافاً إليه ومبتدأ وخبراً[٦]، وتشير عبارة ابن يعيش إلى :

١ـ العُلقة القائمة بين الاسم الموصول والحرف واسم الإشارة، على الرغم من عدم الإشارة الواضحة، إلا أن ثلاثتهم يحتاج إلى ما يبينه ويوضحه، أو ما يجعله يفيد معنى بعبارة ابن يعيش .

٢ـ أن دلالة اسم الموصول والإشارة والحرف في ذاتها تمثل الصفر، على الرغم من المفارقات القائمة بينها، فيما يمكن أن يجعل لها كياناً تعمل في إطاره .

فإذا كانت الموصولات تكتمل دلالتها من خلال صلتها التي ترفعها إلى مصاف الأسماء في إفادتها معنى، فإن اسم الإشارة يحتاج ليس إلى جملة الصلة، وإنما إلى اسم يوضح معناه (يُفسّر به)، والحالة مختلفة مع الحرف، الذي لا يحتاج إلى جملة صلة أو اسم يشير إليه ويوضح معناه، وإنما إلى اسم يُضاف إليه، ومن هنا، فإن ملاحظ عامة، تجمع بين عُراها على النحو التالي :

١ـ أن كليهما لا يفيد بنفسه، إذ هو اسم ناقص الدلالة في ذاته بعبارة ابن يعيش .

٢ـ أن كليهما يعتمد على شئ آخر يعمل من خلاله، وهو المكمل، أو ما يمكن أن نطلق عليه العنصر الأساسي في بناء البنية اللغوية، فإذا اعتبرنا الموصولات والإشارات والحروف أساسية هنا، فإن مكملاتها لا تقل عنها أهمية في هذا الشأن .

٣ـ ويتحصل مما ورد في النقاط السابقة الذكر، أنها تندرج ضمن المبهمات، وإذا كانت هذه النقاط مجتمعة تمثل جوانب الاتفاق، فإن جوانب الافتراق واضحة لا ريب، ولعل أجمع تقسيم وأخصره في ذلك ما يلي :

أ ـ اعتماد " الموصولات " على جملة الصلة المتأخرة : توضح معناها وتفسر مبناها.

ب ـ اعتماد " العناصر الإشارية " على أسماء متقدمة أو لاحقة؛ تفسّر مبناها وتوضح معناها .

ج ـ اعتماد الحروف على ما ينضاف إليها، فتؤدي بذلك معنى .

---

٦ ابن يعيش : شرح المفصّل ٣/١٣، وينظر : عباس حسن : النحو الوافي (هامش) ١ / ٣٤٠ .

وإذا كانــت هــذه العناصر تمثل جوانب الافتراق بين ثلاثتهم، فإن ثمة عنصراً يقع ضــمن حــدود الموصولات، لا يعمل إلا إذا أضيف، وأعني به (أيّ) حينما تكون موصولة، وتمثل هذه نقطة التقاء بين الموصولات والحروف، تضاف إلى ما هو وارد أعلاه .

وتــبقى كلمة لا مناص من إيرادها، أن عناصر المطابقة، إنما تجسّد بشكل ضمني مــا هــو وارد في (٣)، أقصد وقوعها جميعاً ضمن المبهمات، وقد أدرك النحاة ذلك، حين قرنوا الموصولات بأسماء الإشارة [٧]، لما لها من عُلقة تجمع بينها، وفيما يلي بيان ذلك :

١ــ أن احتــياج العناصــر الإشارية إلى ما يوضّح معناها ويزيل إبهامها، يجعلها تقع في مصاف المعارف .

٢ــ احتــياج الموصــولات إلى جملة الصلة التي تليها، تتبوأ من خلالها مكانة وسطى بين المعــارف، وقد أدى النهج الذي استعمله النحاة مع كل منهما إلى وقوعهما موقعاً مرموقاً ضمن المعارف .

يذكـــر الأســتاذ عباس حسن أن : القسم الثاني من المبهمات هو الاسم الموصول: الــذي والتــي ومــن ومــا، وكلها معارف بصلاتها، فبيانها بما بعدها أيضاً، إلا أن أسماء الإشــارة تبيــن باسم الجنس، والموصلات تبين بالجمل بعدها أو أشباه الجمل، والذي يدل على أنها معارف أنه يمتنع دخول علامة النكرة عليها وهي (رُبّ)، وأنها توصف بالمعارف نحــو : جاءني الذي عندك العاقل، وتقع أيضاً وصفاً للمعارف : جاءني الرجل الذي عندك، وكلهــا مسبهمة، لأنهــا لا تخــص مسمى دون مسمى، كمــا كانت أسماء الإشارة [٨] ، ويقتضي الإنصاف أن نشير إلى عدد من الملاحظ على النحو التالي :

١ــ لــيس في كلام الأستاذ عباس ما يفيد بتجاوزه حدود " نحو الجملة " ، فكلامه عن أن الموصــولات توضح بالجمل بعدها أو أشباه الجمل ليس فيه شيء عن العلائق القائمة بين هذه الجمل فيما بينها، وإنما حديث محدد في حدود " نحو الجملة " .

٢ــ إذا كــنا واثقيــن أن الاسم الموصول، إنما تبينه جملة الصلة بعده مباشرة، فإنه يفتقر إلى موضح يزيل إبهامه، ومن ثم يحيل إلى :

أ ــ صلة الموصول اللاحق/ المتأخر .

---

٧ يقــرن ابن يعيش الموصولات بأسماء الإشارة، ويلح على ذلك في مواضع عدة ؛ ينظر : شرح المفصل٣ /١٤١،١٣٩.

٨ عباس حسن : النحو الوافي ٢٤١/١ .

ب ـ تحتاج جملة الصلة : الاسم المبهم والاسم المفسر إلى جملة يحيلان إليها في قربه وبعهده من " صلة الموصول " وقد تكون :

ـ قبله مباشرة (داخل حدود الآية) .

ـ قبله في الآية السابقة (خارج حدود الآية) .

ـ قبله (ويفصل بينهما بآية أو بعدد من الآيات) .

ـ إحالة خارجية .

ـ إحالة خارج أسوار السورة .

وتمثل الإحالة إلى متقدم ـ على اختلاف فيما بينها ـ السمة الجوهرية التي تميزها، وإن كانت ليست واحدة من حيث المعيار المفهومي (kohärenz)، إذ تعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي يمثلها النص القرآني :

ـ المقابلة (المقارنة) .

ـ التفسير المعجمي :

١ـ داخل حدود الآية .

٢ـ خارج حدود الآية .

وخلاصة الملحظ الأخير، أنه يمثل سمة فعلية،على أساس الورود، فهو أكثر من التفسير المعجمي داخل حدود الآية، على أن هذا لا يمنع من وجود سمات إحالية أخرى، نشير إليها في موضعها من البحث. وهكذا تتجاوز الإحالة إلى ما هو أوسع من جملة الصلة إلى خارج حدود الآيات، بل خارج حدود السور والأجزاء، وهذا ما يُطلق عليه مصطلح " الربط " وهو عندي مصطلح عام، ويضم مستويين :

١ـ التماسك النحوي (kohäsion) [9] .

---

٩ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ثمة بعض الملاحظات التي يمكن أن أبيّن فحواها فيما يلي :

في ص٨ حين عرّج الباحث على تحديد دلالات بعض المصطلحات، وذكر :

١ـ النص والخطاب .

٢ـ مفهوم الاتساق (التماسك) : cohesion =

= فــي المصــطلح (٢) قرن مفهوم الاتساق بمفهوم التماسك وجعلهما شيئاً واحداً، والأمر عندي غــير ذلــك، وموجــز ذلــك أن الباحثين العرب على اختلافهم لم يترجموا مصطلح (cohesion) بالاتســاق(يــنظر لكاتــب هذا البحث : الدرس النحوي النصي ص ١٤١،١٤٠) وحتى مصطلح (coherence) بالإنجلــيزية و(kohärenz)، بالألمانية لم يترجمه الباحثون العرب كمكافئ لهذا المصطلح، إلا أن د. تمام حسان قدم له أكثر من ترجمة (ينظر لكاتب هذا البحث الدراسة المشار إلــيها أعــلاه ص١٠٨)، وبالتالي فإن الترجمة العربية المكافأة للاتساق لم تأت كمقابل للمصطلح cohesion، وإنمــا جــاءت ترجمة لمصطلح (coherence) ولم تكن ذائعة بين الباحثين، وإن كانــت فهــي جاءت لغير ما تعارف عليه الباحثون، إذ قدموا ترجمة (coherence) بــ (الحبك)، والتناســق، والانســجام، والتماســك، والاتساق والتقارب، والالتحام (د. أشرف عبد البديع، ص ١٠٨، مرجع مذكور أعلاه)، أما مصطلح (cohesion) فقد ترجم بــ : التضام، السبك والتماسك، الــربط الــنحوي، الالتحام (أشرف عبد البديع، ص١٤٠، ١٤١، مرجع مذكور أعلاه) . ونلاحظ الــتداخل بيــن هذه المصطلحات لدي الباحثين من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد الباحثين الذين تعرضوا لهذه المصطلحات لم يستعملوا مصطلح الاتساق إلا ما ورد عند شيخنا تمام حسان، وهو أمر جدير بإدامة النظر .

والــذي أجــده أيضاً لافتاً للنظر حين حدد مفهوم الاتساق (ص١٣) قال : والاتساق في الــنص عبارة أيضاً عن علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه، وترابط أجزائه، وهذه العلاقات تكون شبكة نصّية تعين على تفسير النص .

وإذا كان الباحث قد نقل هذا النص عن شيخي أ.د محمد حماسة وارتضاه، إلا أنني ألاحظ أن هذه الفهم قد يحمل على غير ما حُمّل، فإذا كان الباحثون يرون :

١ - أن الاتســاق إنما هو ترجمة لمفهوم (coherence) وليس المفهومي (cohesion) ، وبناء عليه تحتاج إلى إعادة نظر، وقد أشرت منذ قليل إلى ذلك .

وعلــى سبيل الفرض النظري، وليس الإمبريقي أن ترجمة coherence بالاتساق صحيحة أو العكس، إلا أن الذي لا نرتضيه أن يحمل هذا المفهوم على أن يكون جامعاً للمصطلحين معاً : coherence، cohesion، إذ لكــل مــنهما دلالــة تخصــه وجوانب تحده، وهذه رؤية الباحثين الغربيين والعرب كافة، ولم يكن أحد المفهومين يحمل الاثنين معاً، وإلا كان خلطاً وخطلاً كبيرين، وأزيــد الأمــر توكيداً بما أورده الباحث (ص١٣) حين فرق بين مصطلحي الاتساق والتماسك عند محمــد خطابــي، وهمــا مصطلحان مختلفان، كل منهما يختص بدلالة محددة على ما أسلفت فيه القــول، فــإذا كان الاتساق عند خطابي (كما يحتاج ما هو وارد عنده ص١٣) فيما يتعلق بتحديد مصــطلح الاتســاق) يحتاج إلى إعادة نظر مبنية وهو في تحديده لمصطلح "الاتساق" عند خطابي وعند هاليداي ورقية حسن يقع في إشكالية التداخل بين المصطلح مما هو غامض عليه، وبالتالي ينقض ما أورده عاليه (ص١٣) . =

٢ـ التماسك الدلالي (kohärenz) .

وكلاهما يعملان من خلال صلات شابكة من العلاقات اللغوية والمفهومية؛ ليؤدي كل منهما ليس الوظيفة، وإنما الوظائف المختلفة في النص القرآني .

٣ـ علة البناء المتطابقة لدى الموصولات والإشاريات، تجعل كلاً منها يقع المواقع الإعرابية المختلفة، ويمكننا إيراد ذلك في الجدول التالي :

م	الحالة الإعرابية	الأسماء الموصولة	اسم الإشارة
١ـ	فاعل	جاء الذي مرَّ	جاء هذا الرجل
٢ـ	مفعول	رأيت الذي مرَّ	رأيت هذا الرجل
٣ـ	مجرور	التقيت بالذي مرَّ	مررت بهذا الرجل
٤ـ	مبتدأ	الذي في البيت محمد	هذا الرجل في البيت

٤ـ يتبيّن من العنصر السابق (٣) أن الموصولات وأسماء الإشارة كليهما يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ أي أنهما جملة خبرية، وهذا ما تنبه إليه ابن يعيش من أن : من الجمل التي تقع صفات، يريد من الجمل التي توضح وتبين، وهي الجمل المتمكنة في باب الخبر، وصلح فيها أن يقال : فيه صدق أو كذب، وجاز أن تقع صفة للنكرة[١٠] .

= ويعود (ص١٤) مرة ثانية إلى ما نقله عن د. حماسة، وأنه مفهوم يحوي الجوانب اللغوية، وهو أمر لم يتفق عليه الباحثون بل لم يعهدوه أصلاً. على أية حال هناك جوانب خلاف بيني وبين المؤلف في كثير من المصطلحات، إذ يقدم لها تفسيراً وتوضيحاً على غير ما ألفه الباحثون جميعاً، ولم أتتبعه خطوة بخطوة .

وعندي أن إقامة هذه التصورات السالفة الذكر، بناء على ما توصل إليه، أن مفهوم الاتساق إنما يشمل الجوانب اللغوية والعلاقات الدلالية(ص١٤)، هو إعادة لكلام د. حماسة الوارد قبله(ص١٣) قدم به في تحليل جوانب البحث إلى تقديم تصورات ما كانت ينبغي أن تكون في مثل هذا الموضوع، بناء على عنوانه، إذ يشير العنوان إلى شئ، ويقود التحليل ــ بناء على مقدماته النظرية التي تحتاج إلى صياغة نظرية دقيقة، وإلى إعادة نظر ــ إلى شئ آخر. ولن أطيل في نقد هذه التصورات، إذ تحتاج إلى مقال خاص بها لبيان وجوه المطابقة والمخالفة، إذ ثمة جوانب كثيرة للخلاف بيني وبين تصوراته وتحليلاته .

١٠ ابن يعيش : شرح المفصل ١٥٠/٣ .

وحاصل رأيه في كونها تقع في الجملة الخبرية، أو هي خبرية، وليست إنشائية (طلبية) على حد قوله، وعلى الرغم من ذكره جوانب الاختلاف بين الجملة الخبرية والإنشائية، فيما يتصل بالموصولات، إلا أنه لم يشر صراحة أو ضمناً إلى نقاط الاتفاق.

وما يمكن أن نلحظه على تصورات النحاة حول الموصولات والإشارات نوجزه في الملاحظ الآتية على وجه الاختصار :

ـ ما يتعلق باسم الإشارة :

أ ـ أشار النحاة إلى أن أسماء الإشارة، لابد لها من اسم يحيل إليه يفسّره ويبينه .

ب ـ أن النحاة لم يبينوا مدى قرب أو بُعد هذا الاسم من مواقع اسم الإشارة، فقد يكون :

ـ في الجملة ذاتها، وبالتالي فإن إحالته لم تتعد حدود " نحو الجملة " .

ـ إلى متقدم (بالنسبة للنص القرآني) :

ـ داخل حدود الآية .

ـ الآية السابقة مباشرة .

ـ داخل السورة (وقد يفصل بينه وبينها عدد من الآيات) .

ـ خارج السور، وهو يأتي في :

أ ـ السور السابقة مباشرة .

ب ـ السور السابقة (ويفصل بينها بعدد من السور) .

والأمر معكوس للإحالة إلى متأخر .

وليس من ظل لريب أن تحديد هذه التصورات لم يشر إليها نحو الجملة، وإن ذكروا أنه مرتبط باسم يحيل إليه يفسره ويوضح معناه، إلا أن هذه الوظيفة في إطار الاستعمال الفعلي للنص القرآني، ربما لا تتفق في بعض جوانبها مع رؤية نحو الجملة .

وتنبغي الإشارة إلى أن التمايز بين تصورات " نحو الجملة " والبحث هنا مرده إلى الاختلاف في الاعتماد على المادة المعالجة والمنهجية المتبعة عند كليهما، فإذا كانت تصورات النحاة منقولة من واقع الاستعمال اللغوي في القرن الثاني الهجري، والبحث هنا يعتمد على النص القرآني، وبالتالي فإن المادة مختلفة، ويؤدي هذا الاختلاف إلى الافتراق في عدد من النقاط الأساسية بين ما ورد وما سيرد، وتأتي مناقشة ذلك في حينه بفضل بيان .

يذكر الأستاذ عباس حسن أن النحاة : يطلقون على أسماء الإشارة وأسماء الموصول اسما خاصا، وهو المبهمات؛ لوقوعها على كل شئ، من حيوان أو نبات أو جماد، وعدم دلالتها على شئ معين، مفصل، مستقل، إلا خارج على لفظها، فالموصول لا يزول إبهامه إلا بالصلة [11].

إلا أن هذه السمة الفعلية / الحقيقية تتسع فتشمل الضمائر؛ لأنها لا تخلو من إبهام وغموض ... سواء أكان للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب، فلابد لها من شئ يزيل إبهامها، ويفسر غموضها . فأما المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر بكلمة غير مباشرة . وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حافز ولا شاهد ؛ فلابد لهذا الضمير من شئ يفسره ويوضح المراد منه، والأصل في الشيء الموضح أن يكون – في غير ضمير الشأن* – متقدما على الضمير ومذكورا قبله [12] .

وتكمن وجوه الافتراق في أن الرؤية الأولى خاصة، بينما الثانية عامة، فإذا كانت الضمائر تحتاج إلى ما يفسرها ويوضح معناها، فإن ذلك ينطبق أيضا على الاسم الموصول واسم الإشارة .

وإذا كان النحاة يرون أن الضمير يفسره ما هو وارد قبله خلافا لضمير الشأن؛ أي أنه يحيل إلى متأخر، وهي رؤية تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء ما هو وارد في النص القرآني من الإحالات اللفظية والمفهومية المتقدمة والمتأخرة، وليس قصدي أن الروابط تقتصر على الربط داخل حدود الجملة فقط .

وقد أدت نظرة الربط داخل حدود الجملة لدى النحاة، أنها ظلت ربطا ضيقا أيضا؛ لأن تصوراتهم النهائية، لم تتجاوزها، غير أننا إذا وسعنا النظرة في ظل التصورات الأرحب، التي يمكن أن تفرز دلالات يقبلها التفسير ولا يردها النص، ونستخلص من خلال ذلك دلالات جديدة، لم يأخذها النحاة بعين الاعتبار، وربما لم يشر إليها المفسرون كذلك، حسب ما اطلعت عليه من كتب التفسير، فلم نجد إشارة محددة داخل حدود الآية، وإن وردت بعض

---

[11] عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٣٨ : ٣٣٩ .

* خلصت في دراستي للدكتوراه إلى أن ضمير الشأن يحيل إلى لاحق وإلى سابق، وهي رؤية مفارقة لرؤية نحو الجملة، ينظر تفصيلا موسعا حول ذلك في : دلالة التراكيب عند الزمخشري، ص ١٨٨ : ١٨٩، ١٩٤ : ١٩٦.

[12] عباس حسن : النحو الوافي ١/٢٥٥ .

الإشارات التي يمكن أن تستثمر في ظل العلم الجديد الوافد (علم لغة النص) وتستغل بشكل جديد، إلا أن ما جاء منها ـ فيما أظن ـ بقصد أو بدون قصد في إطار المنهج المقترح لتحليل النص القرآني .

وعلى أية حال، فإنني تتبعت النصوص المتعلقة بالأسماء الموصولة في النص القرآني، واعتبرته نصاً واحداً وانطلقت منها، وقد أدي هذا فيما أحسب إلى طرح رؤية جديدة مما سعى النحاة إلى تطبيقه على النص القرآني، إذ لم نجد في كتاب " معاني القرآن " للأخفش الأوسط ـ على الرغم من أهميته ـ إسهاماً، يمكن أن يستثمر في إطار التحليل النصي، خلافاً لما هو وارد في "معاني القرآني" للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وغيرهما [١٣].

ويعد عمل الزجاج السالف الذكر حصيلة الأفكار والتصورات المطروحة قبله، على أن من المتأخرين من أفاد مما أورده الزجاج في معانيه، كالعُكبري في " التبيان في إعراب القرآن " ويدل العنوانان ومقارنة النصوص عند كليهما ـ الزجاج والعُكبري ـ على أن الأخير ينقل النص كاملاً عن الأول، ونؤكد هذه الرؤية بمقارنة ما أورده كل منهما في تفسير الآية/٥ من البقرة ولقمان /٢ : ٣ مثلاً، وهكذا نجد إشارات يمكن أن توجّه التوجه السديد، وتستثمر الاستثمار الأمثل، على الرغم من قناعتي بأن منطلقاتهم كانت مفارقة عما نسعى إلى استخلاصه، إلا أن هذه الآراء التي وردت في سياقات تفسيرهم للآيات القرآنية من منطلق مختلف، تدل ـ بشكل ضمني ـ على إمكان وجود علاقات بمستويات عدة من الآيات، وأن تصوراتهم تعدت حدود الآية الواحدة، بمعنى أنهم وضعوا أيديهم على التصورات الأولى التي يمكن الانطلاق منها، غير أن التحليل، سار فيما بعد في منحى مختلف، ولم يكتمل إلا عند قليل منهم، ولهذا فإن ثمة كتباً أساسية في هذا المجال ككتاب الفراء : معاني القرآن ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج والتبيان للعُكبري وانتبذ كتاب " معاني القرآن لأبي عبيدة " والأخفش الأوسط مكاناً قصياً، وكانا أهون الشركاء في هذا المجال، فيما أتصور .

---

١٣ أحسب أن هذه الاتجاه في تفسير النص القرآني يحتاج إلى دراسة مفصلة لاستخلاص الأفكار الأساسية التي اعتمد عليها في تفسير النص القرآني وبيان العناصر النصية الفاعلة لديهم، وقد أشرت إلى هذه الفكرة في كتابي : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن ص١٧، ١٨.

وإذا كـــان " نحــو الجملـــة " قد عزى الأسماء الموصولة إلى طائفتين، تقترنان وتفــترقان فـــي آن واحـــد، إلا أن جوانب التحليل ــ كما سيأتي ــ تدل بوضوح على أنها ليســـت واحدة في القرآن الكريم، وقد أفضت هذه الرؤية إلى إيجاد دلالات جديدة، مما يدل على سياقات متنوعة، تتيح بطبيعة الحال وجوه دلالية عدة .

وقـــد أدت هـــذه التصـــورات إلـــى أن أنماط (الذين) وردت أكثر من غيرها من الأســـماء الموصولة، ويبدو أن هذه الرؤية ليس عليها معوّل في القرآن الكريم، إذ نجد ــ رغـــم قلـــة الأنمـــاط ــ الوظـــائف ذاتها، مع الأنماط الأقل؛ لتمثل ذلك الحشد الحاشد من النصـــوص الكثـــيرة، وبالتالـــي فإن هذه الرؤية تحتاج إلى أن نرجع البصر فيها كرتين[14]. ومـــن هنا فإن المعوّل الأساسي الذي يمكن أن نعول عليه، هو المقاربة الدلالية التي تجمع هـــذه الصـــلات الشـــابكة بين الأسماء الموصولة، ومن ثم، فإن المقياس الدقيق أن تجمع الوظائف لهذه الأسماء من خلال :

ــ تتبع وظائفها في النص القرآني .

ــ توسيع النظر فيما ورد في " نحو الجملة " .

ــ بـــيان الوجوه التي تحتملها السياقات من خلال مقارنة النصوص، ومن هنا فإن تقســـيمات " نحو الجملة " للأسماء الموصولة من حيث الخصوصية والعمومية، ليس لها قيمة فعلية في ربط النص، مادام كل عنصر يقدم سبكاً وحبكاً على المستوى العام، وبالتالي فـــإن اعتبار العام والخاص ليس عليه معول عندي، وإنما المعول الحقيقي يعزى إلى قيمته ودوره الجوهري في عملية انسباك وانحباك النص، ومن هنا جاءت من الأسماء الموصولة العامـــة (مـــن ، مـــا) تشـــترك وتضارع ما هو خاص (الذين، الذي، التي) من الأسماء الموصـــولة أيضـــاً ... وبالتالي تتداخل من حيث الخاص والعام في الوظائف الدلالية التي ترتبط النص من خلالها .

وربمـــا يكون توزيع " نحو الجملة " لهذه الأسماء، من حيث الخاص والعام، أن لكـــل منها دلالات تتميز بها، أو سمات تعمل من خلالها، كما أشرت إلى ذلك، بيد أننا ننظر إليها نظرة مفارقة :

ــ توسيع جوانب الربط الوارد في " نحو الجملة " .

---

١٤ ينظر تفصيلاً مفصلاً حول الأسماء الموصولة العامة عند عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٤٩ : ٣٦٨ .

ـ الإفادة من التصورات المطروحة لدي المفسرين .

ـ الإفادة من مقارنة النصوص وإقامة علاقة مقارنة بينها .

ـ ألا يقتصر البحث على ما هو وارد داخل حدود أسوار الجملة، بتقديم تفسيرات أخرى في مواضع شتى من القرآن الكريم، وإذا فعلنا ذلك ـ وأظن أن ذلك ليس محالاًـ يمكننا أن نستخلص تصورات ومقترحات جديدة، تظهر جوانب تماسك النص القرآني .

وإذا غدونا تلقاء الأسماء من حيث الوظيفة القائمة على ربط هذه الأدوات بما يسبقها ويلحقها تبيَن لنا حقيقة مؤداها أن (الذين، الذي، التي) تمثل الملامح الأساسية للعناصر السابكة والحابكة هنا، ونبرز جوانبها كما يلي :

١ـ الإحالة المعجمية .

٢ـ المقارنة/ المقابلة .

٣ـ الربط ، ويمثل وظيفة عامة تشترك معه (من) في أنها تؤدي إلى :

أـ المقابلة .

ب ـ الربط .

وتمثل هذه الوظائف ربطاً لما هو فوق الجملة (الآيتان وأكثر)، كما تشير الدراسة إلى ذلك في موضعه من البحث، غير أن ثمة مقاربة دلالية ومنهجية في آن واحد، تربط بينها جميعاً، وأذكر هذه المقاربات موجزة :

١ـ أن هذه الأسماء تعمل على الربط (سواء أكان ذلك داخل الجملة أم خارجها) .

٢ـ أن : الذين، الذي، التي، ما، تشترك في وظيفة المقارنة .

٣ـ تشترك : الذين، الذي، التي، ما، في الربط داخل حدود الجملة، وعلى الرغم من أن ربط هذه الأدوات يتجاوز حدود الجملة، كما تظهر ذلك الدراسة في أحد جوانبها، إلا أنه يظل ربطاً بين عناصر الجملة الواحدة كذلك، وهذا ما أشار إليه النحاة بإعادة الضمير إلى الاسم الموصول، وبالتالي يحدث ربطاً بين بنية الجملة الواحدة .

وعلى هذا الأساس، فإن العلاقة بين هذه العناصر مجتمعة هي : الربط، وهو بدوره مفارق من اسم لآخر تبعاً للسياقات المختلفة والأنماط الدالة عليه، وبالتالي فإن هذه الرؤية تؤدي إلى أن الربط، قد يكون :

ـ داخل حدود الجملة .

ـ فوق الجملة .

ـ بين الأجزاء بعضها ببعض .

ـ بين البنية الكلية المكونة له، ولذا، فإن الروابط ليست واحدة من حيث :

ـ الوظائف الرابطة (الدلالية) .

ـ الأنماط وترددها في النص القرآني .

ـ ربطها داخل الجملة وخارجها .

ـ ربط البنية اللغوية للنص القرآني كله .

وعلــى هــذا، فإن جوانب المقاربة والمفارقة ليس عليها ظل لريب، وعلى أساس الربط ودوره ينبغي أن يكون التقسيم الذي على أساسه ينبغي أن تكون التفريعات، على ما هــو وارد داخــل حدود الجملة والشروط (الشرائط) التي على أساسها أقام نحو الجملة تصــوره؛ لأن النص القرآني قد وردت فيه أنماط أحسب أنها لم ترد عند نحاة الجملة، وإن وردت خــرّجوها علــى أنهــا شــاذة ولا يقــاس عليها، غير أن هذه السياقات تتيح هذا الاســتخدام، ولــيس فيها لبس، وإنما تناسب هذه الاستعمالات، وما تحيل إليه، وتؤديه من دور ســابك وحــابك، وعلى أساس هذا كله، فإن تقسيمات نحو الجملة للأسماء الموصولة الــواردة فــي صــدر البحث، والمشار إليها في مظانها، تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء الروابط النصية وما تؤديه من وظائف .

٣/٠: الوظائف الاحالية لجملة الصلة ودورها في تماسك النص في القرآن الكريم

٣/١ : الوظائف الاحالية لجملة (الذين) ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن المتتبع لبنية (الذين) في النص القرآني، يمكن أن يخلص إلى الوظائف الإحالــية لهــا من خلال ورودها في السياقات المتباينة، وينبغي أن نقرر أن مثل الوظائف تشترك فيها مع بعض الأسماء الموصولة الأخرى، كما يأتي بيانه فيما بعد من البحث .

وإذا كــان من قول بداية، فإن السمة الغالبة هي " الربط " الذي تختص به الأسماء الموصــولة، وبالتالــي فإنــه وظيفة عامة، وبناء على النص القرآني والسياقات المتعددة، يمكنــنا أن نســتخلص عــدداً مــن الوظائف الدلالية والإحالية لــ(الذين) بجانب الوظيفة الحقيقية المشار إليه أعلاه .

وتمــثل وظــيفة المقابلــة / المقارنة أو التفسير المعجمي الوظائف الفعلية لجملة "الذيــن"، وتجــدر الإشارة إلى أن هاتين الوظيفتين لا تأتيان من خلال شكل واحد، إذا تأتي المقارنة بين المؤمنين والكافرين بأشكالها المختلفة، وقد تتعدى الآيتين أو أكثر في تفصيل لأحــد جانبــي المقابلــة، ويســبق هذا التفصيل في أحايين كثيرة وصف لهما، بينما يبقى التفســير المعجمي في كل حالاته ــ تقريباً [١٥]ــ متجاوزاً حدود الآية الواحدة ...وقد تتداخل الوظــائف الإحالــية بيــن الأسماء الموصولة محدثة انسباكاً وانحباكاً يتجاوز ذلك كله إلى مواضــع أخــرى مــن النص القرآني، كما سيظهر ذلك التحليل بشكل واضح، ولعل وظيفة المقابلة هنا تأتي من خلال عدد من المظاهر النصية نستجلي جوانبها في المطلب التالي :

٣/١/١: المقارنة / المقابلة مع (الذين) :

١/٠ : المقارنة من خلال : إمَّا أو أمَّا .

١/١ : المقارنة تتعدى حدود الآية .

١/ ٢ : المقارنة داخل حدود الآية .

٢/٠ : المقارنة بعدم استعمال : إما أو أمَّا .

---

١٥ ألفت النظر إلى أن المقارنة تأتي مع (الذين) داخل الآية، لكن السمة الغالبة هي ورودها كثيراً حين تتعدى حدود الآية الواحدة .

٢/١ : المقارنة تتعدى حدود الآية .

٢/٢ : المقارنة داخل حدود الآية .

٣/٠ : المقارنة من خلال (لكن) .

٣/١ : تتعدى حدود الآية الواحدة .

بالإضـــافة إلى مقارنات أخرى لـــ (الذين) مع أسماء موصولة أخرى منتثرة في مواضـــع عـــدة مـــن النص القرآني (وسنشير إليها في حينها من البحث) نظراً لأنها أقل استعمالاً .

ويـــبدو أن المقابلـــة مـــن خلال (إمَّا /أمَّا) تأتي في سياقات كثيرة مما يجعلها في المرتـــبة الأولى، بينما تأتي المقابلة بدونها في مواضع عدة أيضاً، إلا أنها دونها قليلاً، أو تقـــترب منها، وتمثل هذه رؤية أولية، على أن المقابلة بـــ (لكن) تمثل استعمالاً نادراً، مما هو قبلها، حيث لم تظهر الاستعمالات القرآنية إلا في مواضع يسيرة .

كمـــا أقروا ـــ بناء على ما ورد أعلاه ـــ أن هذه الأدوات (إمَّا ـــ أمَّا ـــ لكن) إنما هـــي عناصـــر إضافية مساعدة على بيان وجوه المقابلة، وليست أساسية عندي، ولا أدل على ذلك أن وجوه " المقابلة " بدون هاتين الأداتين واضحة في مواضع أخرى . وإذا كانت هـــذه الملحوظـــات العامـــة، فإنني أحاول أن أفصّل القول فيها تحديداً فيما يختص بوظيفة المقابلة، كما يمثله الاستعمال القرآني .

١/٠ : المقارنة والتفصيل بـــ (إمَّا/ أمَّا) .

١/١ : المقارنة والتفصيل تتعدى حدود الآية .

كمـــا فـــي قولـــــه تعـــالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُـــمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِـــي رَحْمَـــةِ اللّـــهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِيـــنَ﴾ آل عمـــران ١٠٦ : ١٠٨ ، وفيما يتعلق بهذا الشأن، يرى الرماني[١٦] أن (أمَّا) من الحروف الهوامل، ولها موضعان :

---

١٦ الرمانـــي : معانـــي الحروف ص ١٢٩، وقد أشار المرادي إلى أن ابن مالك وغيره يرون أن (أمَّا)، حرف تفصيل . الجني الداني في حروف المعاني، ص٥٢٢ .

أحدهما : أن تكون لتفصيل الجمل، نحو قولك : جاءني أخوتك، فأمّا زيد فأكرمته، وأما عمرو فاهنته، وأمّا جعفر فاعرضت عنه ...

الثاني : أن تكون قطعاً وأخذاً في كلام مستأنف ...

الثالث : هي قيمة مركبة، وذلك قولك : أمّا منطلقاً انطلقت معك ...

وإما وظيفة " التفصيل " ، فإنها الوظيفة التي تتفق مع سياقات مثل هذه المواضع، وبالتالي تكون وظيفتها مضفورة، بمعنى أنها تؤدي وظيفة التفصيل من ناحية، ومن جهة أخرى تؤدي وظيفة المقابلة في آن واحد، ولم يشر النحاة إلى أن (أمّا) تؤدي الوظيفتين معاً، وكل ما أشاروا إليه أنها تؤدي وظيفة التفصيل .

وأما (أمّا) فقد أشار المرادي إلى عدد من الوظائف الدلالية كـ : الشك والإبهام والتخيير والإحالة، والتفصيل [١٧]، وما نريد إثباته أن ثمة مشاركة فعلية / حقيقية بين (أمّا وأمّا) وهي وظيفة التفصيل، وهي تتيح إيجاد عدد من البدائل والصيغ المقترحة، وعلى الرغم من ذلك تظل وظيفة مهمة، ويضيف البحث هنا فيما أرى وظائف جديدة لم يشر إليها النحاة، غير أن الذي بقي واضحاً وضوحاً مبيناً أن وظيفة التفصيل هي التي بقيت واضحة أو مستمرة مع اسم الموصول في القرآن الكريم على الأقل، وإن وردت وظائف دلالية أخرى فيما يتعلق بسياقات أخرى مغايرة، وهنا نشير إلى أنها إحالة مقارنة، وتأتي في شكلين :

الأول : مقارنة وإحالة معجمية معاً، ويمثل ذلك ما هو وارد في البقرة ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٥ : ١٥٧ وتعمل عملين معاً، عمل الإحالة العجمية، ويمثلها :

ـ ما هو وارد في الآية/ ١٥٦ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ .

ـ ويأتي وصف هذا التفسير (الإحالة المعجمية) في الآية التالية/١٥٧﴿أولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ كناية عن الصابرين وتأتي المقارنة بين هذه الآيات من خلال المقابلة مع ما يليها (غير مباشرة) من الآيات، وتحديداً في

---

١٧ المرادي : الجني الداني في حروف المعاني، ص٥٣٠ .

الآيــة/ ١٥٩، ١٦٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أولـــئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ .

ومــن ثــم نجدها تعمل من خلال ضفيرتين، الإحالة بالمقابلة والإحالة المعجمية، وكلــيهما يعمدان بشكل مباشر أو ضمني إلى التماسك النصي، الذي نريد أن نظهر جوانبه فـــي هذا البحث، وعلى الرغم من أن كليها يرتبط بالآخر بعلاقة المقابلة، إلا أن الإحالة مع " الذيـــن " ليســت بواحـــدة، ففي الأولى تحيل إلى ما قبلها (متقدم)، وفي الثانية تحيل إلى اللاحـــق (مـــتأخر)، وكليهما يعملان على تماسك بنية النص، وهذا وجه من وجوه الروابط النصية الخاصة باسم الموصول، ومما يدل على وجوه المقابلة عدد من الركائز نبرزها في الملحظ التالي :

ـ الموضوع الأول : اسم الموصول : يحيل إلى الصابرين، ويفسرها الاسم الموصول فيما تـــلاه، وموضوع الاسم الموصول الثاني : الذين يكتمون ما أنزل الله، وهو موضوع مقابل للأول .

ـ وصـــف " الصـــابرين " الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة بـــ (أولئك)، وجاء الوصف الثاني مع (الذين) ﴿أولـــئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وتظل المفارقة واضحة في أنها مـــع "الذيـــن" الأولى تأتي (أولئك) ومعها في الآية التالية، مما يدل على أنه يتعدى إلى ما فـــوق الجملة الواحدة، في حين مع "الذين" الثانية يبقى داخل أسوار حدود الآية، ونستنتج من ذلك أن التماسك من خلال "التفسير المعجمي"، يتعدى حدود الآية، ومن ثم فإن التماسك أوســع من التماسك الإحالي إلى اللاحق، الذي يتجاوز الآية الواحدة، إلا أن (الذين) الثانية يمكن أن يأتي الوصف الذي يعد واحداً من أوجه (وجوه) الربط ليمتد إلى مساحة أكبر على ســطح القـــرطاس، كما هو هنا، إذ نلاحظ الوصف في الآية/ ١٦٢ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَـــنْهُمُ الْعَـــذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وهو مرتبط بما قبله من حيث وحدة الموضوع، فالآية/ ١٦١ ﴿ أولـــئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ومن جهة أخرى ترتبط الآية/ ١٥٨ بما يليها بعدد من الروابط النصية، والتي يمكن استظهارها في العناصر التالية :

ـ ترتبط هذه الآية بما قبلها (الذين) /١٥٦مع ما يليها في (١٥٩) عن طريق المقابلة في الموضوع .

ـ (أولئك) تربط بين أجزاء الآية الواحدة في (١٥٩) .

ـ ويأتـــي الاســـتثناء فـــي (١٦٠) كدلـــيل علـــى أن هـــذه الآية (الموضوع) مرتبطة بما قـــبلها فـــي الآيـــة (١٥٩)، وكمقـــابل للموضوع السابق (١٥٩)، ويأتي الوصف كتوكيد لموضوع الاستثناء، وكمقابل للموضوع الأول .

ـ وترتبط الآية/١٦١بما قبلها من خلال رابطين :

١ـ المقابلة في الموضوع .

٢ـ الـــربط مـــن خلال التكرار، ففي الآية /١٥٩﴿أولـــئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ ﴾ وفي الآية/١٦١﴿أولئِكَ عَلَيهِمْ لَعنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أجْمَعِينَ﴾ .

٣ـ وهكذا، فإن ثمة مقابلات أخرى بين دلالات الصيغ .

وبـــناء علـــى ذلـــك، يتحقق التماسك من خلال التكرار اللفظي، إعادة (اللعنة) في صـــيغة الفعـــل (يلعنهم)، وصيغة الفاعلين (اللاعنون)، بما يدل على التجدد والحدوث، كما جـــاء ذكـــرهم (وصـــفهم) يلعنون من قبل الحق أولاً والناس ثانياً، بينما ورد الوصف في (١٦١) بالاسم (لعنة الله) بما يدل على ثبات هذا النعت وديمومته، وهي صفة تتقابل مع ما ورد فـــي /١٥٩، إذا كانت الأولى تدل على التجدد والحدوث، في حين أن الثانية/١٦١ تدل علـــى أن الوصف ثابت لهم بيقين، وإذا كان الوصف في الآية /١٦١ بـــ (أولئك)، فإنه في الآية التالية (١٦٢)، يعقبها وصف صريح بـــ(خالدين)، وبالتالي فإن الأمر متعلق بما قبلها مـــن الآيات، ويؤكـــد ذلك بأنهـــم ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ : توكيداً لما سبق وتوثيقاً لعراه .

ومما هو ليس محل جدال بين النحاة، أن الصفة تلي الموصوف، وهي من القواعد الثابـــتة، ولما كانت ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ البقرة/١٦٢، واقعـــة فـــي صـــدر الآية/١٦٢، وعلى هذا فإن الموصوف واقع في الآية السابقة ﴿ الَّذِينَ كَفَـــرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ..﴾ البقرة/ ١٦١، وهنا يتحقق التماسك بالصفة، أو بالحال الدال علـــى حـــال القـــوم المذكوريـــن في الآية السابقة، ثم يأتي الربط بين الآية/١٦٢، ١٦٣ بـــ(الواو) .

وتأتـــي الآيـــة /١٦٤ مرتبطة بالآية/١٦٣ بأن الله واحد لا إله إلا هو ... ، وفي الآيـــة التالـــية/١٦٤ دل على ذلك من خلال قدرته على خلق السماوات والأرض واختلاف اللـــيل والـــنهار، والفلك التي تجري في البحر. وما أنزل من السماء من ماء ... وبث فيها

مـــن كـــل دابـــة وتصـــريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ... ثم يستمر التماسك النحوي والدلالي فيما تلى هذه الآيات من خلال :

ــ الربط بالواو .

ــ ضرب الأمثال، وفي ذلك توضيحاً وتفسيراً لقوة الله، الذي خلق ما جاء في الآية/ ١٦٤ وهكـــذا . وفي قولـــه تعالى في آل عمران/١٩٠: ٢٠٠*، ويمكن أن أبرز جوانب التماسك النحوي والدلالي فيما يرتبط بجملة الصلة فيما يلي :

ــ تعـــد جملة الصلة ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ الآيـــة /١٩١ تفسيراً معجمياً للفظ الوارد قبلها في نهاية الآية، أولي الألباب/١٩٠.

ــ تأتـــي إحالـــة مـــن نـــوع آخـــر، وهي إحالة ترادف، فيما يرتبط بلفظ الجلالة " الله " الـــوارد في آية /١٩١، نجد المرادف المعجمي (الضمني) له في الآيات التاليات /١٩١ : ١٩٤، وكلهـــا تـــبدأ بلفظ (ربنا) في صدر الآيات (٤) مرات، وهو منادى، حذفت أداة النداء، دلالـــة علـــى القـــرب الحاصلة بين العبد وربه، أو أن الله قريب إلى حد لا يحتاج فيها إلى استخدام أداة النداء (يا)، وهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾ البقرة / ١٨٦ .

ــ تأتي الاحالة المعجمية من خلال تكرار الاسم : ربنا في الآيات من (١٩١: ١٩٤) .

ــ تأتي إحالة الضمائر المختلفة التي تعمل على تماسك بنية النص من خلال :

١ــ تماسك بنية الآية الواحدة .

٢ــ تماسك بنية الآيتين /الآيات كما أبنّا عن ذلك أعلاه .

٣ــ تماسك بنية النص القرآني .

ــ وحـــدة الموضـــوع " الدعـــاء " وأنـــه في كل الآيات ١٩١: ١٩٤، إنما هو صادر عن المؤمنيـــن، باستعمال الضمائر التي ذكرتها أعلاه، ولما كان السياق واحداً والمؤمنون كلهم طـــريقهم واحـــد، وقلوبهـــم تلهث بدعاء واحد، فإن الضمائر المستخدمة تكاد تكون واحدة كذلك، وكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يقول إذا كان :

---

* لم أر وجهاً لذكر نص هذه الآيات كاملة؛ لأنه يستغرق مساحة كبيرة على سطح القرطاس، ومن ثم فإن متابعة التحليل هنا، يحتاج إلى متابعة الآيات في موضعها من النص القرآن .

١ـ الموضوع واحداً .

٢ـ المؤمنون يدعون بدعاء واحد .

ترتب على ذلك أن الضمائر المستعملة (١٩١: ١٩٤) تكاد تكون واحدة، وهي في الوقت ذاته تعمل على الربط بين الخالق سبحانه، وبين هؤلاء المؤمنين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه، وحول هذين العنصرين اللذين يكونان المركز في هذه الآيات تقوم الروابط النحوية بتماسك النص بشكل عام .

وإذا كان تحليل الروابط (المشار إليها أعلاه) صحيحة ـ وهي إن شاء الله كذلك ـ فإن الله قد استجاب دعاءهم مباشرة، ويدل الرابط (الفاء) على أمرين لا يمكن إنكارهما :

ـ السرعة، وهي رؤية تدعمها وتؤكدها رؤية نحو الجملة .

ـ ربط الآيات السابقة، بما هو وارد في هذه الآية .

ـ تمثل الآية (١٩٥/ من آل عمران) نتيجة لما هو وارد في الآيات السابقات، فبناء على الدعاء الذي استغرق آيات أربع، جاءت النتيجة المرتبطة بالآيات السابقات، واستخدام الفاء الدالة على التعقيب والسرعة، بأني لا أضيع عمل عامل منكم .. والذين هاجروا وأخرجوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ويدخلون جنات تجري من تحتهم الأنهار .... إلخ، وذكر النحاة أن معنى (لكن) في جميع مواضعها الاستدراك [١٨] .

ويستلفت النظر في هذه الوظيفة (الاستدراك) في معنى المصطلح استدرك يقول ابن منظور: في مادة (الدرك) : اللحاق، وقد أدركه ... وتدارك القوم؛ تلاحقوا، أي لحق آخرهم أولهم، وفي التنزيل " حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً " ... والدراك إتباع الشي بعضه على بعض في الأشياء كلها ... واستدرك الشيء بالشيء : حاول إدراكه به [١٩]، ولمّا كانت دالة على طلب الاستدراك، وبالتالي فإن الاستدراك، إنما يدل على أن شيئاً أدرك أو طلب إدراكه، ويُفاد من كل ذلك، أن ثمة مقابلة أو مفارقة بين ما هو قبل لكن، عما هو بعدها، وبالتالي فإن ثمة مقابلة غالباً، وهي تتعدى حدود الجملة، فيما أظن، ومن هنا ،فإن هذه الرؤية يمكن أن تستثمر الاستثمار الأمثل في ظل اللسانيات النصية .

---

١٨ ينظر الزجاج : حروف المعاني ص١٥، المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ص٥٨٨.

١٩ ابن منظور : لسان العرب٢ / ١٣٦٣، ١٣٦٤ .

ثـــم تأتـــي المقابلة في الآيات التاليات آل عمران/ ١٩٦: ١٩٧، لفريق آخر مقابل للفـــريق الأول، وهـــو فـــريق الكافرين، كمقابل لفريق المؤمنين الذي استغرق طيلة الآيات (١٩٠: ١٩٥) ثم يأتي الاستدراك بـــ (لكن)، ويدل هذا على شيئين :

١ــ أن فريق المؤمنين يأتي كمقابل لفريق الكافرين .

٢ــ عطـــف طائفـــة المؤمنيـن (الآيات من ١٩٠: ١٩٤)، وكأن الحق يريد أن يقول : لا يغـــرنّك الذيـــن كفـــروا، فإنما هي حياة قصيرة، ويأتي وصفها في الآية التالية بـــ(متاع) كوصـــف لتقلـــب في الآية السابقة (١٩٦) دليلاً على أن لها وقتاً محدوداً ولابد من زواله، ومـــن ثـــم فإنها مكملة لها، وهنا مكمن التماسك النحوي في النص، ثم يأتي وصف "متاع" بأنـــه قلـــيل، ولما كان قليلاً /قصيراً أو هو قليل على أصل الوصف، مقارنة بالحياة الآخرة الأبدية،﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/ ٦٤، ولما كانت كذلك ــ وهي كذلك ــ ونتـــيجة لكفرهم في البلاد، فإن النتيجة الواقعة هي ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، ويذكر العُكبري : أن (متاع قليل)؛ أي تقلبهم متاع، فالمبتدأ محذوف[٢٠] .

وأرى أن تصـــور أصـــحاب كتـــب معاني القرآن مفارق لما ذهبت إليه، ففي جعل (متاع) صفة يكون فيه ارتباط بينه وبين الآية السابقة، خلافاً لو جعلناه مبتدأ، وهنا تنفصل العلاقـــة عمـــا قبلها، وبالتالي فإن اعتبارها (صفة) فيه إظهار لجوانب التماسك، خاصة أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد، وقد أبنت عن ذلك .

كمـــا أن (لكن) تدل على الاستدراك*، فأما العطف فيكمن في عطفها على طائفة مـــن الآيـــات الخاصة بالمؤمنين، وأما "الاستدراك" إنما يأتي كمقابل لفريق الكافرين، وفي كلتا الحالتين تعمدان إلى تماسك الآيات بعضها ببعض، وأن بعضها آخذ برقاب بعض .

وإذا كان الوصف في آل عمران /١٩٧﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾، فـــإن الآيـــة التالية﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

---

٢٠ العكـــبري : التبيان في إعراب القرآن ٢٦١/١، وهو تصور مقارب لما ورد عند الزجاج في : معانـــي القـــرآن وإعرابه ١/ ٥٠١، ويبدو أن العُكبري أخذه ه عنه أو ربما نقل نقل فحواه، قارن بين الموضعين لتتضح المقاربة .

* أشار القرطبي أن (لكن الذين اتقوا ربهم) استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي، لأن معنى ما تقـــدم لـــيس فـــي تقلبهم في البلاد كبير الانتفاع، لكن المتقون لهم الانتفاع والخلد الدائم. الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣٢١ .

نُــزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾/١٩٨، أي أن التقوى نتيجتها : جنات تجري مـــن تحتها الأنهار. وجاء الوصف بـــ(خالدين فيها ...)، وتأتي آل عمران/١٩٩ مرتبطة بما قبلها من خلال :

ـ الربط بالعطف (الواو) .

ـ وحدة الموضوع، فالحديث في الآيات السابقة عن المتقين .

ويأتـــي الفعل (اتقوا) باستعمال ضمير الفاعلين (الواو)، وهنا إشارة وجيزة، أن الضمير يحيل إلى موضع آخر من النص القرآني في تحديد لصفات المتقين، وأقصد ما ورد في البقرة/ ٢: ٥ ، وبناء عليه، فإن الإحالة هنا ليست إلى :

ـ داخل حدود الآية .

ـ داخل حدود السورة .

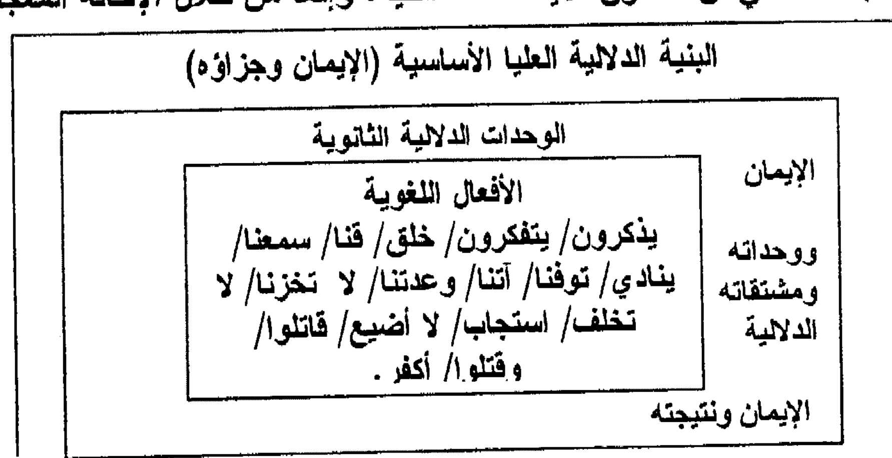
ـ وإنما إلى السور السابقة مباشرة (في بدايتها) .

ـ وتمثل الإحالة إحالة إلى متقدم .

ـ الإحالـــة إلى مواضع (المتقين) في النص القرآني في السور اللاحقة، تُسمى إحالة إلى لاحق وهي إحالة لفظية .

ـ وثمـــة إحالـــة ضمنية إلى صفات المؤمنين كـــ: المخبتين والمحسنين والصابرين وعباد الرحمـــن والمؤمنين ... وهي إحالة ضمنية، وهي بدورها تحيلُ إلي سابق في ذات السورة وفي السور السابقة، وإلى لاحق في السور القرآنية وفي داخل السورة .

وهكـــذا تتماسك بنية النص، ليس من خلال تعاقب الآيات، وليس من خلال الروابط السنحوية فحسنـــب، أعنـــي أن تكـــون الآيـــات متتالـــية، وإنما من خلال الإحالة المعجمية والتفسيرية .



النص

وتعد البنية الدلالية الإنجازية هي التي تفرض وظيفة الأفعال اللغوية، وهي مترتبة علــى البنــية الدلالــية الأساسية، ومن هنا نجد أن الأفعال كلها تقع في دائرة الأفعال التي تنتمي إلى الجذر الإيماني، وما ينتمي إليه .

وتختــتم آل عمران بعدد من الروابط الإحالية، تحيل إلى مواضع مختلفة من النص القرآني﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾/ ٢٠٠ ، ولنا مع هذه الآية وقفة، في محاولة لكشف الروابط النصية فيها، وبيان ذلك ما يأتي :

١ــ الضمير في الفعل (آمنوا) يحيل إلى عدد من المواضع في القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها هنا على سنة الاختصار في المطلب التالي :

١/ ٢ : دور بنية الفعل (آمن) والفعل (كفر) وما ينتمي إليهما في تماسك النص :

أــ تحيل إحالة لفظية إلى كل المواضع المذكور فيها الفعل (آمن) وجذره وصيغه .

ب ــ يحيل الضمير (الواو) في الفعل (آمن) إلى تلك الصفات الواردة لهؤلاء المؤمنين* :

وبالتالــي فــإن الإحالــة فــي الفعل (آمنوا) تشير إلى لاحق/ متأخر في عدد من المواضــع من السور، والتي تمثل بدورها المركز الذي تدور في فلكه كل الإحالات المتعلقة بالإيمــان كوصف، أو بالإيمان كفعل، ومن ثم تمثل هذه المواضع المذكورة عاليه العناصر الأساســية التــي تقدم تفسيراً لهؤلاء المؤمنين أو للصفات التي ينبغي للمؤمنين أن يتحلوا بهــا، وتأتي الضمائر مع هذه الأفعال بمثابة الجوانب الثانوية التي تستمد أهميتها من هذه المراكــز والمواضــع التــي ترتــبط بها في مواطن شتى، وتكون هذه العلاقة، ما يُسمى بمواضــع الإحــالات التي ينتج بناء عليها تماسك النص . وتختلف الإحالة إلى متأخر وإلى مــتقدم، حسْب وضع الآية والسورة ــ مثلاًــ فإذا كانت في سورة البقرة، فإن الإحالة إلى مــتأخر فــي كــل المواضع التي ورد فيها (آمن /آمنوا) في كل السورة الواردة قبل هذه الآيــات المشــار إليها أعلاه، والأمر معكوس مع المواضع التي وردت عقب هذه السورة، فــإن الإحالــة تكون إلى متقدم، ومن ثم فإن الإحالة الخاصة بذلك، يمكن أن تأتي مع هذه المواضع على النحو التالي في القرآن الكريم :

---

* أُحــيل إلى بعض مواضعها في النص القرآني تجنباً للإطالة الأنفال /٢ : ٤، التوبة/ ٧١ : ٧٢، المؤمنون/١ : ١١، النمل /١ : ٤، الحجرات /١٠، ١٥، على سبيل المثال .

١ــ يأتــي الفعــل (آمــن/آمنوا) في سورة : البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، ليحيل إلى متأخر/ لاحق، من ناحيتين :

الأولى : يحيل إلى المواضع السالفة الذكر التي تفسر الجذر الدلالي للمؤمنين .

الثانــية : يحيل إحالة لفظية إلى كل المواضع المذكور فيها (آمن/ آمنوا) أو ما هو على شاكلته :

١ــ يأتــي الفعــل (آمن/ آمنوا) وما هو قريب منه في السور التالية الحجرات، وبالتحديد بداية من سورة (ق) حتى نهاية القرآن، كل الإحالات فيها تمثل إحالة واحدة، إلى سابق .

٢ــ المواضــع التــي ورد فــيها الفعــل (آمن/آمنوا) في السور التي تعد تفسيرا معجمياً، والمذكــور أعــلاه، تمــثل الإحالة فيها إحالة معقدة، بمعنى أنها في كل سورة من السور المذكور فيها التفسير المعجمي، تكون كالتالي :

ــ يأتي الفعل (آمن/ آمنوا)، داخل السورة، فإذا كانت عقب التفسير المعجمي داخل موضع من المواضع المذكورة أعلاه، فإن الإحالة تكون إلى متقدم، وإذا كانت سابقة، فالإحالة إلى متأخر، وتوسع الدائرة مع السور فتختلف موضعها تبعاً لموقعها .

وإذا كــان الحديث عن الفعل (آمن/آمنوا) فإنه جذر دلالي من (آمن) ويأتي منه آمنوا، آمــنا، آمنتُ، آمنوا، الإيمان، وتقع كل هذه الأفعال للصفات المذكورة فيما مضى، وذلك في مقابل جذر دلالي آخر لا يقل أهمية عن جذر (آمن) وهو الجذر (كفر)، وفي رأيي أن هذين الجذرين الدلاليين يمثلان سمة جوهريــة يقــوم عليها بناء النص القرآني .

١ــ نلاحــظ أن هــناك جذورا دلالية تدور في فلك كل جذر، فإذا كان جذر (المؤمنين) يمثل عنصراً أساسياً يدور في إطاره عدد من الألفاظ التي تعد من مشتقاته، وأقصد ألفاظا مثل : المتقيــن (الــبقرة /٢ : ٥)،الخاشــعين (البقرة/ ٤٥، ٤٦)، المخبتين (الحج/ ٣٤: ٣٥) ،الصــابرين (آل عمران/١٥: ١٦)، (البقرة/١٥٤ : ١٥٧)، المتقين (الأنبياء / ٤٨: ٤٩)، العباد (آل عمران / ١٦)، أولي الألباب (الرعد /١٩ : ٢٤) و(آل عمران / ١٩٠ : ١٩)، المحسنين(لقمان / ٣ : ٥)، والمتقين (الزمر/٣٤: ٣٥)، التقوى(الأعراف/ ١٥٦ : ١)، وتدل مقارنة النصوص في النص القرآني على المشاكلة الدلالية لما تدل عليه هذه الجذور الدلالــية، فمــن يتتــبع الإحالــة المعجمية / التفسيرية للجذور التي تقع ضمن إطار دلالة (المؤمنيــن) يجــد تداخــلاً بين صفات المؤمنين من ناحية، وصفات الصابرين والمخبتين والمتقين وعباد الله وأولي الألباب، والمحسنين من ناحية أخرى، وهذا ما جعلني أرجح أن

هـذه الجـذور الدلالية لهذه الصفات تقع في حيز واحد؛ نظراً لأنها تضم صفات تكاد تكون واحدة، أو ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون ... إلخ .

٢ــ أمـا الجـذر الدلالـي للفعل (كفر) المقابل التقليدي للفعل (آمن) فيأتي في عدد من الجـذور الدلالـية، تدور في فلكه، وتؤدي دوره، ونخص بالذكر : المسرفين : (الشعراء/ ١٥١ : ١٥٢)، المشركين (فصلت/ ٦ : ٧)، الظالمون(الأعراف/ ٤٤ : ٤٥) و(العنكبوت : ٥٨ : ٥٩)، المكذبيـن (الطـور/٤٨ : ٤٩)، الفاسـقون (البقرة/٢٦: ٢٧) ... إلخ ،ومما يؤكـد العلاقة القائمة بين جذر(المؤمنين) وطائفة من الجذور الدلالية الأخرى أن القرآن الكريم قد سوّى بين :

ــ الفلاح ومن يدعو إلى الخير (آل عمران/ ١١٤) .

ــ التسوية بين المتقين والمحسنين (فصلت/ ٣٣ : ٣٤) .

ــ التسـوية في الصفات وتداخلها بين هذه الصفات بعضها ببعض، مما يعكس تداخلاً بينها فـي الصـفات، وأنهـا في عاقبة الأمر تؤدي إلى معنى واحد، وكذلك الأمر بالنسبة للجذر (كفر) وما يدور في فلكه من جذور دلالية مثل :

١ــ التسوية بين الكفر والفسق(النور/ ٥٥) .

٢ــ التسوية بين الكفر والفسق والظلم (المائدة / ٤٣ : ٤٥) .

٣ــ التسوية بين الكافرين والمنافقين (النساء/ ١٣٨ : ١٣٩) .

٤ــ التسوية بين الظلم والكذب (آل عمران / ٩٤) .

٥ــ الـتداخل فـي الصـفات بين هذه الجذور الدلالية، مما يجعلها جميعاً تصب في معنى واحد، وهو المقابل للجذر (آمن)، وعلى هذا الأساس، فإن الفعل (آمن) الوارد قبلاً في آل عمران نضيف إليه إحالة أخرى، يمكن أن نطلق عليها : الإحالة الترادفية .

ويلاحـظ على صفات المؤمنين، أن منها قليل مكرر، إما ضمناً وإما بالألفاظ ذاتها، إلا أنهـا تبقى في عاقبة الأمر مكونة لصفات أساسية، يجب أن تتوافر في المؤمن، ولا أدل علـى ذلـك، اسـتخدام أداة القصـر إنمـا مع السياقات المختلفة التي وردت فيها صفات المؤمنين، خلافاً لما هو وارد في سورة المؤمنين، وبالتالي فإن هذه الصفات "يجب" وليس "ينبغـي" أن تـتوافر فـي شخصية من تنطبق عليه صفة المؤمن . وتجدر الإشارة إلى أن صـيغة " يـا أيها الذين آمنوا " في النص القرآني كله، تأتي في بنية لغوية ثابتة، أو بتغير دقيق : تأتي إما في صورة :

ـ يا أيها الذين آمنوا ـــ افعل ـــ أمر .

ـ يا أيها الذين آمنوا ـــ لا تفعلوا ـــ نهي .

ـ يا أيها الذين آمنوا حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ـــ متضمن معنى الأمر .

ـ يا أيها الذين آمنوا ـــ (بصيغة اسم الفعل) .

دون تحديد من هم الذين آمنوا ؟ وأحسب أن هذه الصيغة تأتي في النص القرآني فيما يجب أو لا يجب فعله، فيما يتعلق بهؤلاء المؤمنين، ولم يذكر شيئاً عن صفاتهم؛ لأنها ذكرت في مواضع منثرة، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى :

١ـ أن هذه الرؤية تؤكد مقولة المفسرين : إن القرآن يفسر بعضه بعضا .

٢ـ أن مثل هذه المواضع ـ الواردة عاليه ـ وغيرها من النص القرآني، إنما تحيل بشكل مباشر أو ضمني إلى تلك المواضع في سورة الأنفال والنور والمؤمنين والحجرات، وهكذا يتكاتف كل موضع ورد فيه الذين آمنوا أو شيء عن المؤمنين، مع تلك المواضع الواردة سابقاً، ويؤدي هذا الطرح إلى توكيد أن النص القرآني :

ـ يفسر بعضه بعضا .

ـ سبك وحبك بنية النص القرآني عن طريق الإحالة .

وكأنني أنظر إلى هذه الآيات التي وردت في سياقات عدة في صفات هؤلاء المؤمنين، وأنّ الله سبحانه حريص على إيمانهم الحقيقي﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا﴾ الأنفال،وبالتالي تتبدى قسمات العلاقة بين تلك الصفات، وبَيَّن ما هو وارد في سياقات أخرى من هذه الصفات : يا أيها الذين آمنوا، وكأنّ الله حريص على أن يبقي هؤلاء المؤمنون على حالهم، ومن ثم جاءت الصورة معهم بـ : افعل أو لا تفعل في صورها المشار إليها أعلاه . وهكذا تتكشف العلاقة بين أصحاب هذه الصفات وبين الأوامر والنواهي المتعددة، ونوجز ذلك فيما يلي :

١ـ إحالة ضمنية إلى ما ورد في مواضع أخرى .

٢ـ أن هذه المواضع " يا أيها الذين آمنوا "إنما هي متعلقة بتلك الصفات، ويؤدي هذا إلى:

ـ سبك وحبك بنية النص القرآني .

ـ أن كل هذه المواضع مع " يا أيها الذين آمنوا " إنما هي متممة ومكملة للمواضع الأخرى، وبالتالي فإن أي حذف لمثل هذه المواضع، إنما ينتج عنه خلل في هيكل النص

القرآني مبنى ومعنى، لأنه "... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام /٣٨ ، و " مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" الكهف/ ٤٩ .

وقـد جمـع بينهم في آية /٦٩، حين يكون بين الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل صـالحاً ... ويدلـنا لفـظ " الإيمـان" ومشـتقاته بالمقابل التقليدي لهذا اللفظ، وهو لفظ "الكافـرون" وما يحيل من مشتقات، ومن خلاله تتبدى السمات الجوهرية التي يمثلها، ومن خـلال اسـتقراء المواضع الوارد فيه،ا تبدو خصائصه التركيبية والدلالية، إذ نجد المقابلة بيـن المؤمنيـن، وهكـذا في كل مواضع النص القرآني نجد المقابلة بين الله ورسوله من ناحـية، والكافريـن مـن ناحـية أخرى، أو بين المؤمنين والكافرين بشكل مباشر، وحتى المؤمنين من بني إسرائيل، وفي كل السياقات تأتي النتيجة، إما بالدعاء عليهم ﴿ وانصُرْنَا عَلَـى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران / ١٤٧، وإما بوصف ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ الـتوبة /٣٧، وإما بالدعاء بالنجاة من هؤلاء القوم ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ يونـس/ ٨٦، وإمـا بالدعـاء بأن لا نكون معهم ﴿ وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ هود/ ٤٢، أو بالاسـتهزاء من دعائهم ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ الرعد/ ١٤، أو نتـيجة كما في ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد /٣٥ .

وتجـدر الإشـارة إلى ملاحظة وثيقة الصلة بتلك الوظائف الدلالية لجملة الصلة؛ أقصـد أن مقابلـة قائمة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، بناء على ما ورد سابقاً، ومن ثم يمكن القول إن المقابلة القائمة بين الفريقين، ليست بين الجوانب المعجمية القائمة بين دلالتي المؤمنين والكافرين على السواء، وإنما المقابلة قائمة بين كل صفة يختص بها كل فريق والفريق الآخر.

غير أن البحث في جوانب الصلة قد كشف عن جوانب أخرى تضاف إلى المقابلات الـواردة هنا في البحث، وهذه المقابلات التي يمكن أن نضيفها إلى المقابلات السابقة، هي أن المؤمنيـن وصفاتهم الواردة في عدد من مواضع النص القرآني، يمكن أن أطلق عليها الصـفات المباشـرة، والحـال كذلك فيما يتعلق بصفات الكافرين، هذه ملاحظة أولى، أما الملاحظـة الثانية، فهي أننا نلاحظ أن الحق سبحانه يستخدم في مواضع كثيرة مع الصفات المباشرة كلمات معجمية، مع فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

وهـنا يمكـن أن أثبـت تلك الألفاظ التي يمكن أن نصفها بمعادل طبيعي للمؤمنين والكافريـن، وهـنا أحـاول أن أسـطر الدلالات المعادلة المؤمنين، وأذكر منها : المتقين، المحسـنين، المصـلحين، المخبتيـن، الصالحين، التائبين، العابدين، القائمين، السائحين، الموقنيـن، المفلحيـن، الآمريـن بالمعـروف، الناهين عن المنكر، المتوكلين، الصابرين، الصادقين، القانتين ، المنفقين، والمستغفرين بالأسحار، آل عمران/١٧ .

ويمكـن تحديد دلالة الكلمات بشكل آخر، فنجدها تعطي معنى من معاني المؤمنين أو الكافريـن، وهـي تـرد عقـب الإحالة بالذي أو بالذين التي تأتي دائماً في بداية الآية، وتكـون الإحالـة فـيها (الذي، الذين) إحالة معجمية؛ أي إحالة إلى الآية السابقة مباشرة، وبالـتحديد إلـى الكلمـة الأخـيرة مـن الآية السابقة، وتسمى إحالة (الذين/ الذي) إحالة معجمـية، وداخل حدود السورة، ويمكن تأمل عدد من الآيات التي تعطي ملمحاً مهماً لمثل هذه السمات الخاصة بالمؤمنين والكافرين على السواء .

وفي مقابل المعادلات الدلالية للفظة المؤمنين، نجد لفظة الكافرين، وهنا نجد أيضاً معـادلات دلالـية، أظن أنها تحمل سمات الكافرين، وإن كان لكل وحدة دلالية خصوصيتها التـي تميزها عن غيرها من الألفاظ الأخرى، ويمثل مجموع هذه المعادلات الدلالية للألفاظ التـي تؤدي دلالة الكافرين، وبالتالي فإن مثل هذه الألفاظ، إنما تمثل دلالات خاصة لكل تلك المعاني التي يؤديها لفظ الكافرين، أو لفظ المؤمنين، وهكذا تجتمع هذه الألفاظ الخاصة مع الاسـم الموصول المذكور أعلاه، والذي يمثل الإحالة إلى سابق خارج الآية، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة .

وهكذا لا يمكن أن تقوم مثل هذه المعادلات الدلالية مقام للمؤمنين أو الكافرين في إطارها العام، أعني أن دلالاتها خاصة، وكل لفظة دلالية تؤدي دوراً محدداً في كشف جانب لا تؤديـه اللفظة الأخرى، وهذه الخصوصية لكل معادل دلالي لأي جذر من هذين الجذرين، وعـدم خـروج أي مـنها عـن الـدور الدلالـي المنوط بها، هو الذي أكسب المؤمنين، والكافريـن الدلالـة العامـة، أعني ما تحمله كل منهما من دلالات مختلفة، غير أنها تدور جميعها في فلك واحد، وتحت سماء واحدة، أعني أن المعادل الدلالي :

١ـ المؤمنين ـــــ كل الألفاظ المؤدية إلى الجنة (ألفاظ كثيرة) .

٢ـ الكافرين ـــــ كل الألفاظ المؤدية إلى النار (ألفاظ كثيرة) .

وبالتالـــي فـــإن مـــا يمكن أن نخلص إليه أن المؤمنين والكافرين، تمثلان مجالين دلالين مختلفين ومتقابلين في آن واحد، إلا أن كل الدلالات المعجمية التي تدور في فلك كل مـــنها تؤدي دلالته وتكشف عن بعض جوانبه، بيد أنه رغم الاختلافات والتداخلات الدلالية لكـــل هذه الألفاظ، إلا أنه يظل لكل مجموعة دلالتها الفارقة والمكونة لبنيتها، ومن هنا فإن العمومـــية الدلالية للمؤمنين والكافرين والخصوصية لتلك المجموعة التي تدور في فلك كل مـــنها، هـــي التـــي جعلت مثل هذه الألفاظ للمجالات الدلالية، وكل مجموعة تدور في فلك المؤمنيـــن أو الكافريـــن، وبالتالي تمثل المؤمنون المعنى النهائي والأخير لحصيلة المعاني الخاصـــة التـــي تمـــثلها ألفـــاظ كل مجموعة على حدة، هذه العمومية للمؤمنين والكافرين أعطت مساحة من الإمكانية أتاحت فيما أظن أن تمثل هذه الألفاظ التي تدور في فلكها تحيل إلـــى هذين اللفظين؛ لأن معناهما عام، ومن ثم تستوعب كل المعاني التي يحملها كل لفظ،

وبـــناء علـــى ذلك يمثل هذان اللفظان مركزين من الإحالات ، وهكذا نجد : يا أيها اللذيـــن آمـــنوا، وعلى الاتجاه المقابل نجد المكافئ الدلالي للكافرين، وفي كل وصف يصف المنافقيـــن، الكاذبيـــن، الخاسرين، المطففين، الذين يصدون عن ذكر الله، والذين إذا ذكروا بآيـــات الله اتخذوهـــا هزواً، بالإضافة إلى كل الصفات والسلوك المؤدي إلى النار، أياً كان اخـــتلاف الألفاظ، كما أن المعادلات الدلالية التي تدور في فلك المؤمنين، تؤدي جميعها إلى الجـــنة، كما يشير إلى ذلك النص القرآني . هذه الخصوصية للمعادلات الدلالات لألفاظ كلتا المجموعتين والعمومية هي التي جعلته قابلاً لأن يحيل ويحال إليه في النص القرآني .

كمـــا أن ســـمة جوهرية أخرى، وهي أننا كما رأينا في ضمائر الوصل مع "الذين، الذي" مثلاً تحيل إما إلى سابق، وإما إلى لاحق، هكذا بصورة موجزة، أما تركيب : "يا أيها الذيـــن آمنوا" و "يا أيها الكافرون" وما نحي نحوه من التراكيب، فإنه يحيل إلى سابق وإلى لاحـــق فـــي آن واحد؛ لأن الآيات المفسرة للفظة المؤمنين، قد تكون بالنسبة لآية متقدمة، وقـــد تكـــون متأخرة، ويقع تركيب يا أيها الذين آمنوا موقعاً وسطاً. وثمة ملاحظة أود أن أشير فيها إلى أن :

١ــ إحالة إلى الكفار الواردة صفاتهم في موضع آخر من النص القرآني .

٢ــ فـــيها مقارنـــة بين الصفات الواردة في آية/ ٨٤، وما هو وارد في آية/٨٥، والعلاقة بيـــنهما علاقـــة مقابلـــة بيـــن صـــفات المؤمنين وصفات الكافرين، وبالتالي تكون الإحالة

مــزدوجة، إحالــة إلــى سابق في ٨٤، وإحالة إلى لاحق في ٨٥، ثم يلي الوصف الثاني الوارد في آية/٨٥ : الذين كفروا نتيجة في الآية ذاتها : أولئك أصحاب الجحيم .

﴿ الحَمْــدُ لِلَّــهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الأنعام/ ١، إحالة إلى متقدم خارج النص، وبالتالــي فإن الإحالة إلى متقدم داخل حدود الآية (داخل السورة) وإلى متقدم مباشرة على الضمير الموصول (الذي) .

ثم تستمر الإحالة الخارجية إلى الذات العلية في الآية الثانية والثالثة، بيد أننا نجد الإحالات إلى لفظ الجلالة (الله) في الآيات في هذه السورة ليست واحدة، ففي الآية الأولى، اســتخدم (الذي) فقط، في حين الآية الثانية استعمل ضميرين : هو، الذي، ومن هنا تكون الإحالــة مــزدوجة في نظري، أقصد استعمال الضميرين؛ الفصل والوصل معاً، على أنني أقــرر ابتداء أن مثل هذه الصيغة تتردد في القرآن بشكل لافت للنظر، مما يستدعي متابعة لها في سياقاتها المختلفة؛ لاستخلاص النتائج الفاعلة .

ويجــب أن أشــير إلــى أن تكرار ضمير الفصل (هو) مع (الذي)، يمثل إحالة إلى الذات العلية، وهي إحالة خارجية، ليست موجودة في النص، غيرأنه إذا كان النص القرآني مــن عــند الله، وبالتالي ليس موجوداً فيه، إلا أن صفات الذات العلية مذكورة في سياقات مــتفرقة مــنه، تظهر قدرته سبحانه، وفي هذه السياقات نجد استعمال الصيغة التالية "هو الــذي" .... (٥٦) مرة في القرآن، وكل مرة نجد الصفات المذكورة في كل موضع مختلفة عــن ذلك الموجود في موضع آخر، وبالتالي تخلص هذه السياقات جميعها إلى تقديم صور كاملــة عــن قــدرة الحق سبحانه، كما يلاحظ أن كل التراكيب بعد (هو الذي) جاء بصيغة الأفعال الماضية والمضارعة، كل حسب ما تمليه السياقات، إلا في موضع واحد من سورة الزخــرف/٨٤ ﴿ وَهُــوَ الَّــذِي فِــي السَّــمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ . واســتعمال الجــار والمجرور : له، الذي يتقدم الجملة للتخصيص، وفي مثل هذه المواضع نلاحظ شيئين :

الأول : هو الذي صنع هذه الأشياء المذكورة مع : هو الذي .

الثانــي : مترتــب علــى الأول، وبمــا أنه صَنَعَ كل هذه الأشياء، ومن ثم تأتي المواضع المســتخدم فيها الجار والمجرور والمتقدم على الجملة بإفادة التخصيص، وأنها له وليست لغيره، كنتيجة طبيعية صنعها .

وفـــي هاتيـــن الحالتيـــن، تربط ضمائر الفصل أو الموصولة هذه السياقات بعضها بـــبعض، كنتيجة حتمية بأن هذا النص القرآني مرتبط بعضه بعضاً، ومن هنا تتحقق مقولة أن النص القرآني نص واحد .

وينبغي أن أشير إلى أن المقابلة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، إن صفات المؤمنيـــن تقع كمقابل طبيعي لصفات الكافرين، وأحسب أن الحق قد صوّر الكافرين كمقابل للمؤمنيـــن، المـــائدة /٤٤ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ومن هنا تأتي المقابلة بين من يقوم بتلك الصفات، وبين من لم يحكم في صور شتى وطرق متعددة، وهـــنا ألاحظ أن ذكر الإيمان ومتعلقاته بشكل مباشر، في حين تأتي أشكال لا متناهية منها الكـــذب، ونكـــران وجود النبيين والجحود بأنعم الله، والتواكل، وكل ما هو مقابل لصفات الإيمـــان .... ومـــن ثم تتعدد صوره وأشكاله، حتى الكذب يُدرج صاحبه في الإطار المقابل لمـــن لا يؤمـــن بآيـــات الله ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَـاذِبُونَ﴾ الـــنحل/١٠٥، ولا أدل على العلاقة القائمة بين الكذب والكفر، أنه عقب الآية الســـابقة ذكـــر صـــراحة الكفر والإيمان ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ...﴾ النحل/ ١٠٦. وبالتالي فإذا كانت المقابلة بين :

الكـــــــــــــذب ◄────► الإيمان ، النحل /١٠٥ .

الكفـــــــــــــر ◄────► الإيمان ، النحل/١٠٦ .

وهكذا، فإن طريق الكفر متشعبة وطريق الإيمان واحدة .

١ـــ الضمير الثاني (اصبروا) يحيل إلى :

ـــ سابق/ متقدم .

ـــ خارج حدود الآية .

ـــ خارج أسوار السورة الواحدة .

ـــ الســـورة الســـابقة مباشـــرة، وبالتحديد إلى الآية/ ١٥٥: ١٥٧ في قوله تعالى ﴿وَلَنَـــبْلُوَنَّكُمْ بِشَـــيْءٍ مِّـــنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّـــابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ...) هنا نلحظ أن سمات الصبر واردة وروداً محدداً في السورة السابقة، وبالتالي فإنها تحيل إلى هذا الموضع مع ما ورد في سورة البقرة في

تفصـــيل لصفات هؤلاء الصابرين، الذين﴿ قالوا إنَّا لِلَّهِ وَإنَّــا إليْهِ رَاجِعونَ ﴾ ويترتب على هذا الفعل قولاً وعمل / تصديقاً ما يلي :

ــ (أولــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ) .

ــ (وَأولــئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ) .

وكنتيجة محققة، إذا تحقق قولهم فعلاً وعملاً .

وإذا كان هذا الموضوع يمثل مركز الدائرة، لما يتعلق بالفعل " اصبروا " في النص القرآنــي، فــإن هــناك مواضع عدة، تعد مراكز توضيحية ثانوية، لما هو وارد في سورة البقرة، ونبرز عناصرها فيما يلي :

فــي الحــج/٣٤ : ٣٥ وردت الصــابرون كصــفة من صفات المخبتين* (وَبَشِّرِ المُخْبِتِيــنَ * الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّــا رَزَقْــنَاهُمْ يُــنفِقُونَ﴾ ، وفــي الأحزاب/ ٣٥ ﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِــعَاتِ .... أعَــدَّ اللَّــهُ لَهُــم مَّغْفِــرَةً وَأجْرا عَظِيما ﴾، وفي آل عمران/ ١٥: ١٧ ﴿ ... وَاللَّــهُ بَصِــيرٌ بِالعِــبَادِ يقولــون ... الصَّــابِرِينَ وَالصَّــادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالمُنفِقِينَ وَالمُسْــتَغْفِرِينَ بِالأسْــحَارِ﴾ وبالتالي جاء كوصف للذين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا إنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَــنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية/ ١٦ مباشرة، وهي توضيح/تفسير لصفات العباد في الآية الســالفة /١٥ قبلها، وهكذا يُبين هذا الملحظ عدداً من الاستنتاجات السابقة الذكر والمتعلقة بــان الوصف يعد رابطاً نصياً، وإن كان لا يتجاوز حدود الآيتين أو الثلاث، على أية حال، فإنــه يتجاوز حدود الجملة/ الآية إلى ما هو فوق ذلك، وهذا ما تسعى الدراسة إلى تعميق النظر فيه .

وفي سورة البلد/١٧، يأتي الحديث عمن يريد أن يقتحم العقبة (وهو جبل)، ولن يــتأتى ذلــك إلا مــن خلال : فك (تحرير) رقبة، ﴿أوْ إطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ يتيما أو

---

* يذكــر القرطبي في (وجلت قلوبهم) ... وصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومــراعاتهم لــربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها. الجامع لأحكام القــرآن ١٢/ ٥٩، وقــد ذكر العُكبري عدداً من التصورات ــ كما هو شأنه في مواضع أخرى ــ فقــال : (الذيــن إذا ذكر الله) يجوز أن يكون نصباً على الصفة، أو البدل، أو على إضمار المعنى، ورفعــاً علــى تقديــرهم. التبيان ٢/ ١٧٨، وقد أبنت عن رأيي في موضع سابق لمثل هذا الرأي ورجحت كونها صفة لتدل على الملاصقة .

مسكيناً ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾، ثم يأتي الوصف لهـذا الفعـل باستخدام ضمير الإشارة مع المؤمنين، والضمير الثالث(هم) مع الكافرين، فقال في نتيجة ذلك عن المؤمنين ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾،البلد /١٨، عقب فك رقبة أو إطعـام المسكين أو اليتيم، وفي مقابل ذلك جاء وصف الذين كفروا بهذا الفعل، ولم يقدموا شـيئاً ﴿هُـمْ أَصْـحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ البلد/١٩، ولم يكتف الوصف، كما في الآية السابقة مع المؤمنيـن، وإنمـا أكد في الآية/٢٠ ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾، أي محكمة الغلق، وفي ذلك تخويفاً وزجراً لأولئك الذين يكفرون بآيات الله، ولم يقوموا بفعل المؤمنين السابق، وهو ما لم يغفله الحديث عن أصحاب الميمنة، والله أعلم .

ويلفت النظر في الآية/١٨ (الواردة عاليه)، بما هو وارد في سورة الانشقاق/٧ : ٩، ﴿ فَأَمَّـا مَـنْ أُوتِـيَ كِـتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْـرُوراً﴾ وهو كناية عن الفوز في الآخرة، فقد رُوي عنه صلي الله عليه وسلم، أن أول مـن يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة عمر بن الخطاب ... وهو فوز ما بعده فوز، وأي فوز !!! وهنا نلحظ تفسيراً لما هو وارد لاحقاً في آية البلد من خلال الإحالة :

ـ إلى سابق (ليس في ذات الآية أو السورة) .

ـ إلى ما هو قبلها بعدد من السور .

تنتج هذه الإحالة العلاقة القائمة بين النصوص (الانشقاق والبلد) ومن خلال هذين الملحظيـن، تتماسـك وتتشـابك السور المتباعدة مكاناً المتماسكة نصاً ومضموناً، وهكذا يتحقق التماسك من خلال ربط :

١ـ آمـنوا، الإيمان في سورة آل عمران/٢٠٠، الذي يمثل مركزا ثانوياً بما هو وارد في سورة : الأنفال، التوبة، المؤمنون، النمل، الحجرات، وفي ذلك تماسك لربط بنى السور من جهة، وربط وتماسك نصوصها اللغوية من جهة ثانية .

٢ـ اصبروا إحالة هذا الموضوع (آل عمران/٢٠٠) إلى متقدم من السور السابقة (البقرة) مباشـرة، وبالتحديد في الآيات ١٥٥: ١٥٦، وبالتالي يتماسك الموضوع بما هو وارد ثمة في سورة البقرة .

٣ـ رابطو إحالة إلى (الذين آمنوا) داخل حدود الآية، وبالتالي تعمل على تماسك بنية الآية الواحدة .

٤ـ اتقوا تحيل :

أ- إحالة لفظية : وتمثلها على سبيل المثال البقرة/ ١٨٠،٢، ١٩٤، ٢٤١، وآل عمران/ ٧٦ ، وبالتالي فهي متقدم في السورة السابقة مباشرة .

- إحالة إلى متأخر/ لاحق، ويمثلها ما هو وارد في سورة :

- (الأنبياء/ ٤٨، ٤٩) ومن هنا فالإحالة إلى لاحق متباعد .
- (الفرقان/ ٧٤، ٧٦) ومن ثم فالإشارة إلى لاحق متباعد أكثر .
- (القلم/٣٤) وبناء على هذا فالإحالة إلى لاحق نائي (بعيد) .
- (النبأ/ ٣١ : ٣٦) ومن ثم فالربط يشير إلى متأخر جداً .
- (الليل/ ٥: ٧) الإحالة إلى متأخر في نهاية النص القرآني تقريباً .

وبناء على ذلك، فإن مواضع الإحالة اللفظية والإحالة الترادفية الضمنية قربها وبعدها، إنما يمثل عملية نسبية، فليس لها موضع أو مساحة مكانية محددة، وتختلف درجة قربها وبعدها عن المحال إليه، وبالتالي لم أر قاعدة في النص القرآني يمكن أن تحدد مدى المسافة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، وإنما هي عملية نسبية حسب السياق وموضع السورة .

ونتبين أن هذا النمط القرآني (آل عمران/٢٠٠) إنما يمثل نموذجاً يمكن أن ترد فيه الأفعال الواردة ثمة، بأنها تشير إلى هذه المواضع، وبناء على ذلك، فإن هذه المواضع الإحالية المتعلقة بكل فعل من هذه الأفعال، يمكن أن يحيل إليها أي فعل ورد في القرآن الكريم، وتعمل هذه الإحالات من خلال عدد من الملحوظات، التي قد تكون :

- تقابلية (مقارنة) في موضعها (وصف وفي ذات الوقت مفسرة) .
- مفسرة (توضيحية)، وهي في الوقت ذاته موضحة لمعناها .

والمقارنة، قد تكون باستخدام :

- (إمّا / أمّا) الدالة على المقابلة/ المقارنة مع (الذين) وجملة الصلة .
- (الذين) وجملة الصلة للمقارنة أيضاً، وهذه الملاحظة تؤكد أن (الذين) وجملتها قد تكون مقارنة بدون (إمّا/ أمّا)، وفي حالة وجودها يدعم السياق اللغوي (وسوف نأتي لهذا العنصر فيما يلي من البحث) .

وإذا كانت (الذين، الذي) تأتي في سياقات عدة من النص القرآني، لتكون تفسيراً / توضيحاً لجزء معجمي ورد في نهاية الآية السالفة الذكر (أو في الآية السابقة في بعض

الآيـات)، ثم تأتي (الذين/ الذي) كجملة مفسرة للجزء المعجمي في بداية الآية التالية، وقد يـتجاوز التفسـير أكـثر من آية، بمعنى أنه يمكن أن تقدم أكثر من وصف، كل واحد منها يمكـن أن يكـون تفسـيراً كافياً، وتتعدد جملة الصلة بتعدد الموضوعات، وهذا النمط يعد خروجاً على ورود الجذر الدلالي الوارد في نهاية الآية :

ـ وإنما يأتي التفسير المعجمي هنا في بداية الآية .

ـ ويترتـب على الملحظ الأول أن الآية التالية لا ترد في كل الحالات مبتدأة بجملة الصلة، وإنما تتبدى ملامحها من خلال الأشكال التالية :

١ـ تأثر في (غالبية) الآيات مستعملة جملة الصلة في بداية الآيات .

٢ـ تأثر في (بعض) الآيات باستخدام (الفعل) قبل جملة الصلة .

٣ـ تأتـي في (بعض) باستعمال الضمير الثالث (هو) قبل جملة الصلة. وأبقى على هذه التصورات لمعالجتها في موضعها من البحث . أعود لأفصل القول بفضل بيان، فيما يتعلق بسورة آل عمران في العناصر التالية :

ـ الجذر (آمن) ومنه المؤمنون، وقد ورد في القرآن :

ـ إنما + المؤمنون + الوصف في آية واحدة أو آيات .

وفي مثل هذه الحالة لا تأتي جملة الصلة تبعاً لذلك في الآيات التاليات، وإنما تأتي مباشـرة في ذات الآية، ويتبدى ذلك بوضوح في الأنفال /٢ : ٤، والحجرات /١٠ : ١٥، ويـبدو أن شدة الارتباط بين (إنما) وما يُراد قصده، يأتي وراءها مباشرة، دون الانتظار إلـى الآية الأخرى، وإن كنت أذهب أن ورود التفسير المعجمي للكلمة في بداية الآية، لما هـو وارد فـي نهايـة الآية السابقة مباشرة، مبدوءاً بجملة الصلة، لا يحتاج إلى وقف أو سكتٍ، وإن حدث سكت خفيف؛ لاتصال المعنى الأول (الجذر الدلالي) بما يليه من التفسير المعجمـي، وعلى الرغم من هذا فإنها تبقى ــ رغم العلاقة الحميمة ــ في مرتبة أدنى من بنية (إنما) .

ـ علـى أن آية الحجرات/١٠ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، يخالف فيه أنماط (إنما) المشار إليها في :

١ـ أنه خال من (الذين) الاسم الموصول وبالتالي خال من الصلة .

٢ـ لم يستخدم فيه ضمير الإشارة المهم (أولئك) والمشار إليه كتفسير وتوضيح لصفات هؤلاء القوم .

ومـــن يمعن النظر في هذه الآية يجد اختلافاً كثيراً بينها وبين أنماط (إنما)، إذ جاء القصـــر موجزاً؛ أدي إلى عدم احتياجه إلى موصول يربط بين الموصوف السابق، والصفة اللاحقة من خلال (الذين)، وهكذا لم تستعمل، وقد أدى القصر الموجز إلى عدم ذكر صفات هـــؤلاء من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن السياقات تشير إلى أنها تختص بمواضع الخلاف بين المؤمنين بعضهم بعضاً، ومن ثم فهي تمتاز عن الآيات الأخرى من هذه الجهة الثانية.

وعلـــى الـــرغم من المقاربة بين البنية اللغوية للأفعال الإنجازية لنمطي (إنما) في الأنفـــال/٢-٤* والحجـــرات/ ١٥، إلا أن اختلافاً قائماً، يبدو من خلال الحجرات /١٥، فلم تذكر لهم إلا صفات ثلاث : الإيمان، عدم الارتياب، الجهاد في سبيله، أما في الأنفال/٢: ٤، فقـــد جـــاء ذكر خمس صفات في ثلاث آيات : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، التوكل على الله، إقامة الصلاة، الإنفاق، وبالتالي :

ـ طال الوصف من ناحية .

ـ جَعْلُ (أولئك) في صدر آية جديدة، فيه تأثير أكثر على المتلقي، ومن ناحية أخرى يشير إلـــى أن (هؤلاء) المؤمنين أقل شيء أن يفرد لهم وصف خاص بهم في آية واحدة؛ لأنهم جديـــرون بهـــا، وأكدت الآية هذا المعنى بلفظ (حقاً) الدال على التوكيد والقصر، مثلما دلت (إنما) في المواضع السابقة على قصر هذه الصفات على هؤلاء المؤمنين .

وقـــد ذكر العُكبري هنا في هذا الموضع أنه مثله في النساء **. بيد أن ثمة تمايزا بين السياقين، ففي النساء/١٥ مع الكافرين، في حين أن آية الأنفال مع المؤمنين باستعمال العناصـــر اللغويـــة ذاتها، وها أنا ذا أذكر ما أورده العكبري في ذلك (حقاً) مصدر؛ أي حق ذلـــك حقـــاً، ويجـــوز أن يكون حالاً؛ أي أولئك هم الكافرون غير شك [٢١]. وأرجح اعتبارها مصدراً مؤكداً، بدلاً من كونها حالاً، وأدلل على ذلك من خلال التناص في العناصر التالية :

---

* قـــارن بيـــن صفات المؤمنين في الأنفال/ ٢: ٤ وبين صفات المخبتين في الحج/ ٣٤ : ٣٥ ، وتشترك السورتان في إيراد صفات مشتركة، وهو ما يؤكد ما أوردته في مواضع سابق من البحث من أن هذه جذور معجمية مختلفة، غير أنها تقع في حيّز واحد .

** أشار محقق (التبيّان) ١/ ٤٧٢ في الهامش إلى أنه مثله في النساء .

[٢١] العكبري : التبيان ١/ ٢٣١ .

١ــ أن هــذه الآيــة/٤ من الأنفال، تأتي كوصف من جهة، ونتيجة لما هو وارد قبلها من الآيات للمؤمنين من جهة ثانية .

٢ــ يأتي هذا الوصف باستعمال (أولئك)، ويؤكد بأكثر من مؤكد على النحو التالي :

أ ــ ضمير الفصل (هم) الدال على التوكيد .

ب ــ (حقــاً) المصــدر المؤكــد لهــذه الصــفات مــن ناحية، وتدعيم أن (هم) ضمير فصل دال على التوكيد، وليس مبتدأ .

ج ــ استعمال الجملة الاسمية : أولئك هم المؤمنون .

ء ــ أن اعتــبار (حقــاً) مصــدراً مؤكــداً يتسق مع الوصف، خاصة إذا كان الوصــف يزيد هذه الصفات، ومن ثم يعد اعتبارها توكيداً أنسب من اعتبارها حالاً الذي يناقض الوصف فيما أرى .

وبالتالــي فإن التفسير/ الإحالة المعجمية لجذر (المؤمنين) لم يأت في آية تالية، وإنمــا ورد فــي ذات الآية، وإن وردت له صفات أخرى في بعض الآيات التاليات، إذ زاد الوصــف عــن الآيــة، بيد أن القاعدة الأساسية، هي أن الوصف مع (إنما) ورد على غير العادة في آية (إنما) وإن امتد إلى أبعد من ذلك في آيات تاليات .

علــى أن هــذا التفسير المعجمي يأتي في صور أخرى مختلفة؛ نظراً لأنها جملة الصــلة، وفي هذه الحالة تكون خبراً للمؤمنين، وبالتالي تستوي مع (المؤمنين) بــ(إنما) أو بدونهــا، كمــا في التــوبة/ ٧١، ٧٢، وتمثل هذه علامة فارقة بين البنيتين، أما حين تأتــي (الذيــن) كتفسير لما هو وارد في الآية السابقة، فالأمر مفارق، إذ المعنى يكون ــ حينــئذٍ ــ مكــتملاً نهاية الآية السابقة، ويمكن أن يكتفي به دون إهدار للمعنى العام، ومن هنا كانت تفسيرية للمعنى المعجمي .

وأرى أن ورود التفســير المعجمــي ــ كما أبنّا فيما ورد أعلاه ــ مع (إنما)، إنما يمــثل ركــيزة أساســية فــي البنية اللغوية، لا يمكن غض الطرف عنه، أو إهضام حقه، وبالتالي يكون :

١ــ أساسياً من ناحية .

٢ــ وهــو مترتب على الأول، أن يعرب خبراً، وهو أمر متمم للمبتدأ : المؤمنون، ذلكم هي الحال مع (إنما) وغيرها، حين تكون :

أ – داخل الآية .

ب – جملة خبرية، وهي مترتبة على الأولى .

ج – مع (إنما) أو بدونها .

– المؤمنون + الصفات (التفسير المعجمي) ويأتي ذلك في إطار نوعين :

* المؤمنون + صفاتهم (في آية واحدة) .ويمثلها ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢، وينطبق عليها ما ينطبق على قاعدة (إنما) .

* المؤمنون + صفاتهم (في آيات تاليات) .

وتمثلها سورة المؤمنين/١: ١١، حيث إنها تفسيرية، وإذا كان النحاة قد ذهبوا إلى أن جملة : الذين، إنما هي صفة للمبتدأ، فهذا لا ريب يدخل في سورة المؤمنين، وهكذا يدخل تحت هذا التصور الألفاظ الخاصة بلفظ (الكافرين)، وما يندرج ضمنه، كما حدث مع المؤمنين .

وهكذا يتحقق التماسك النحوي والدلالي معاً، من خلال التفسير المعجمي، فإذا كان التماسك النحوي ظاهر لا ريب فيه، عندما يكون تفسيراً للفظ المعجمي في نهاية الآية، فإنه يشتمل عليهما معاً حين يكون داخل الآية، وخبراً للمبتدأ من ناحية أخرى، وهو أقوى عندي من الأول، للأسباب المذكورة في موضعها عاليه . على أية حال، تنبغي الإشارة إلى أن هذا التفسير المعجمي، سواء أكان للمبتدأ والجذر الدلالي أم لما هو وارد في نهاية سابقة، إنما يبقى في حالاته :

– لا يتجاوز الآية الواحدة، وهو ربط على مستوى بنية الآية .

– يتجاوز الآية أو الآيتين، وبالتالي فإن دائرة الربط تتجاوزها إلى ما هو أوسع وتماسكه أكبر .

وإذا كان هذا التصور يتجاوز حدود الجملة أو الآية، فإننا يجب أن ندّعم هذه الرؤية بطرح تصورات أخرى في مثل هذه المواضع، خاصة ما ورد في المؤمنين والأنفال نموذجاً، إنما يحيل إلى :

١– الإحالة الضمنية : داخل حدود الآية تحيل إليها الضمائر، وكل الضمائر تمثل قضايا ثانوية تصب في القضية الأساسية (الإيمان)، وهي هنا تمثل المركز، ومن ثم تحيل إليها كل الضمائر الواردة في الآية، خاصة أنها مبتدأ، وكل ما هو وارد معها يمثل الخبر،

والمبتدأ أصل، والخبر فرع، وعلى ذلك فالضمائر في داخل حدود الآية من خلال الضمائر المختلفة، إذ لم تخل كلمة (اسم/ فعل) من الضمير في الآية/٢، إلا لفظ الجلالة (الله)، وهو لا يُضاف إليه شيء، و(إيماناً) وحرف الجر (على)، وما دون ذلك، فكل الآية تحيل إلى (المؤمنين) مما يشكل منها عنصراً مركزياً مهماً تحيل إليه كل الضمائر .

٢ـ الإحالة اللفظية :

ـ خارج حدود الآية السابقة :

تنتهي بـ (إن كنتم مؤمنين/١، وتبدأ الآية/٢ بـ (إنما المؤمنون) ومن ثم، فالإحالة تكرارية لربط بنية الآيتين معاً .

كما أن الإحالة الضمنية في الآية التالية، ليس فيها تكرار لفظي مباشر، وإنما تكرار ضمني (غير مباشر) لصفات عدة، وذلك من خلال صلة الموصول (الذين يقيمون ....) والضمائر الحاصلة في الآية في (يقيمون، رزقناهم، ينفقون) إنما تحيل إلى المؤمنين(٢)، وفيه نوع من التوكيد، أن هذه الضمائر في (٣)، إنما هي للمؤمنين في (٢) مما هو وارد في (٤) بالإحالة اللفظية التكرارية في إعادة لفظ (المؤمنين) واستخدام (حقاً) التوكيدية، ثم تتوالى الإحالات بالضمائر، وهي تعمل على :

ـ اختزال مساحة لا بأس بها على سطح القرطاس .

ـ الربط داخل البنية اللغوية للآية الواحدة، وإذا تجاوزت ذلك يكون من خلال صلة الموصول .

ـ في حين تبقى الإحالة اللفظية تعمل :

ـ داخل الآية الواحدة .

ـ من خلال أكثر من آية .

ـ ربط البنية اللغوية للسورة من خلال الإعادة اللفظية للفظ الواحد في صور شتى، إذ يأتي لفظ (المؤمنين) بصيغة الاسم في مواضع، ويأتي بصيغة الفعل (آمنوا) في مواضع أخرى، ومن خلال هاتين الصيغتين تتبدى قسمات الإحالة اللفظية، في حين تبقى ثمة إحالة داخلية، أعني داخل الآية من خلال الضمائر .

وإذا رجعنا البصر في سورة الأنفال، نجد أن المؤمنين ترد بالصيغ المختلفة في مواضع كثيرة بصيغة (آمنوا) : يا أيها الذين آمنوا، مع ورود صيغة المؤمنين في مواطن

أقـل مـن السورة، وما يمكن أن نشير إليه هنا بصدد الإحالة في هذه السورة، أنها تعمل على مستويين :

الأول : داخل حدود السورة، وقد ورد تفصيله بفضل بيان أعلاه .

الثاني : خارج هذه السورة، ويتمثل في :

ـ السور السابقة واللاحقة، من خلال :

التكرار اللفظي أو الضمني كما ورد هنا في الأنفال .

وبناء عليه، فإن هذه المواضع تحيل إلى ما هو داخل الآية، وداخل السورة، ومن ناحية أخرى، فإنها تحيل إحالة مماثلة (لفظية وضمنية) إلى ما هو خارج السورة . وإذا ما وسعنا الرؤية إلى ما فوق السورة أو الجزء؛ فإن ذلك يأتي خلال :

ـ الإحالـة اللفظـية للمؤمنين و للكافرين ومشتقاتهما في أن كل موضع، إنما يحيل إحالة تكرارية إلى المواضع الأخرى .

ـ الإحالـة الضـمنية، وذلـك من خلال الضمائر التي تدعمها جملة الصلة، والتي تجعلها تـتجاوز حـدود الآيـة الواحدة من خلال عدد من الصلات الشابكة . وهكذا نوسّع الدائرة لتشـمل النص القرآني كله، وبالتالي يجب ألا نقصر علاقة هذه الآيات بعضها ببعض داخل حـدود الآيـة أو الآيتيـن، أو حتى داخل البنية اللغوية للسورة . على أية حال، فإن هناك قضايا إحالية رابطة أخرى بين السور أو داخل السور، أشار إليها القدماء .

وفـي قولـه تعالى ﴿إنَّ هَـذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُـونَ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وأنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الإسراء/٩،١٠، وموجـز هـذا النمط يتمثل في أنه :

١ـ يمـثل إحالة معجمية داخل حدود الآية، في أن جملة الصلة : الذين يعملون الصالحات ... تعد تفسيراً معجمياً .

٢ـ تعـد الآية/٦ مقابلة / مقارنة مع ما هو وارد في الآية /١٠، من حيث التقابل اللفظي، وهـنا يجـب أن أشير إلى أن المقابلة، تأتي من خلال عدد من الركائز الأساسية، نوجزها فيما يلي :

أـ أن تكـون المقابلة (المقارنة) مقابلة ثانوية؛ أي أن تأتي بين ألفاظ تقع في فلك لفظ الإيمان من ناحية، وأخرى تقع في دائرة الكافرين .

ب ــ أن تكــون المقابلة مباشرة؛ كأن تأتي بين الإيمان والكفر، وهي مقابلة مباشرة .

ج ــ أن تكــون المقابلة باستخدام النص بأي شكل من أشكاله، كما هي الحال مــع نمــط الإســراء/١٠،٩، وأحسب أن السمة التي تجمع بين هذه العناصر الثلاثة الدالة على المقابلة بأشكالها المختلفة تدل على المقابلة .

٣ــ وينبغــي أن نشــير إلى أن تنوع الأشكال التركيبية، بما تحتوي عليه من أدوات ربط، والتنوع في استعمال الأسماء والأفعال على اختلافه، إنما هو شكل من :

ــ الإبداع القرآني .

ــ ثراء النص القرآني .

ــ إعجاز النص القرآني .

ــ قدرتــه علــى تقديــم تفصــيلات جديدة يقبلها النص ولا يردها، وهذا يؤكد الرؤية القائلــة، بأنــه لا تنقضــي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وأن إعجازه، إنما هو إعجاز لغوي في الأساس الأول .

وقد ناقش د. خليل عمايره ضمير الفصل والشأن والإشارة والموصولات، ويلاحظ علــيها بشــكل عــام أن معالجــته ظلت في حدود ضيقة، ففي قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَــلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ المؤمنون/٢، قال : فيؤدي الاسم الموصول (الذي) دور المسند إليه، مســنده خاشــعون، ثم تحولت الجملة ... حيث يؤدي الضمير (هم) دور المحدد المخصص المزيل الإبهام في الاسم الموصول السابق عليه، فضلاً عن توكيده [٢٢]، وبالتالي غدى تلقاء توجــه آخــر بعيداً عن التحليل النصي من ناحية، وظل تحليله في حدود نحو الجملة التي اقتصرت تحليلاته عليه من ناحية أخرى، وأوجز ذلك فيما يلي :

١ــ لــم يحــاول أن يبين علاقة هذه الآية بما قبلها، كما فعل كل من: القرطبي والعكبري، وأشير إلى ذلك في موضعه من البحث .

٢ــ انشغل في تحليله بالتحويلات الأساسية التي عليها الجملة، كما هو مُبين عنده .

٣ــ ركــز فــي اســتخلاص الدلالــة للضمير (هم) داخل حدود أسوار الآية، وكان الأجدى والأجدر أن يذكر ربطه بما قبله، وبالتالي تبدو العلاقة الحاصلة بين الآيتين أو الآيات .

---

[٢٢] د. خليل عمايرة : آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث ص٣٥ .

وهكــذا بقيــت تصوراته ــ على الرغم من أهميتها وعمقها ــ في إطار " نحو الجملة "، وتدل النماذج المختارة على أنه ركز على موقع الاسم الموصول في النص القرآني، وكأنه يريد أن يقول إنه واسم الإشارة يُعربان حسب موقعهما في الجملة .

علــى أن هــذا التصــور، لا ينفي الإعراب الذي أقامه كل من القرطبي والزجاج والعُكــبري أن هذه الأسماء الموصولة، كما هي في النموذج السالف الذكر، تعرب صفة أو مفعــولاً، وفــي كلتا الحالتين نشعر بمحاولة ربط هذه الآية بما قبلها، أما في حالة إعرابها مبــتدأ فتنفصــل (الذين) عما هو وارد قبلها، مما يشير بشكل ضمني إلى انفصالها عما قبلها .

وإذا كنت قد ذكرت عدداً من العناصر، فذلك لأنها السمة الأساسية، وتأتي العناصر الأخرى لتمثل صور المقابلة، وهنا ينبغي أن أشير إلى أن وظيفة (الذين) تتمثل في :

١ــ كونها رابطة بين الجملتين/ الآيتين، وتمثل هذه الوظيفة الفعلية .

٢ــ المقابلة، وتكتسب أهميتها من خلال :

ــ المقابلة (المقارنة) بين فريقين متضادين .

ــ (الذين) التي تأتي مع كل فريق بوجه عام .

علــى أن هــذه المواضع، تعمل على التماسك النصي، من خلال الربط المفهومي (المقابلــة) في هذه المواضع فقط، وتتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، ويتبدى هذا الملحظ بوجه عــام مــن خــلال الضمائر المختلفة؛ فعلى سبيل المثال تأتي المقابلة بين المؤمنين وبين الكافريــن؛ الذين آمنوا، وما يدور في فلكها من جذور معجمية، والذين كفروا ومتعلقاتها، ومــن ثــم فالضمائر هنا، إنما تشير إلى مواضع منتشرة من النص القرآني، وقد أبنت عن ذلك بفضل بيان في موضع آخر من البحث، وبالتالي فإن الإحالة تتجاوز :

ــ حدود الآية .

ــ حدود الآيتين .

ــ حدود الثلاث آيات .

ــ حدود السورة إلى آفاق أوسع وأرحب إلى عدد من السور والأجزاء .

ــ حــدود الجزء الواحد .

٣/١/٢ : الإحالة المعجمية التفسيرية بـ (الذين) :

٢/١ : التفسير المعجمي داخل حدود الآية .

٢/٢ : التفسير المعجمي خارج حدود الآية .

٢/١ : التفسير المعجمي داخل حدود الآية :

قال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ الفرقان/٦٣، ويمثل هذا النمط مفارقة عن الأنماط الأخرى، في أن الصفة هي (الخبر)، وبالتالي لابد من وجوده ليتم المعنى، هذا من ناحية، ومن جهة أخرى، فإنه يتفق مع ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢ في أنه :

ـ داخل الآية .

ـ خبر للمبتدأ (عباد الرحمن) أو اعتبارها صفة أفضل، كما ذهبت إلى ذلك في موضع آخر، ويفارق الأنماط الأخرى في الفرقان فيما يلي :

١ـ أن الإحالة تتجاوز حدود الآية إلى نهاية السورة، وهو ما ليس موجوداً في (التوبة) .

٢ـ أن الإحالة في الأنفال/١: ٢، لم تأت من خلال عطف جملة الصلة (الذين....) باستعمال حرف العطف (الواو)، وإنما جاءت من خلال :

ـ جملة الصلة (الذين ....) .

ـ الضمائر المتنوعة .

وفي الفرقان تجاوزت الروابط بإضافة (الواو) العاطفة زيادة على الروابط الواردة في الأنفال، وهكذا تأتي جملة الموصول التفسيرية مع (الذين) في مواضع ستة تكاد تكون متتالية .

٢/٢ : الإحالة المعجمية التفسيرية خارج حدود الآية :

وينقسم بدوره إلى قسمين :

الأول : أن يأتي مع نمط من الأنماط التي تحيل إحالة معجمية (يكون خبراً)، داخل حدود الآية، ثم يتجاوز الآية باستعمال جملة الصلة(الذين)، وهذا النوع قد فصلت فيه القول .

الثاني : يأتي التفسير المعجمي لكلمة واردة في نهاية الآية، وتكون جملة الصلة في بداية الآية التالية مباشرة، ويمثل هذا النوع نمطاً آخر له سماته الدلالية، وإذا كان الرابط في

الأول بيـــن الآية الواحدة من جهة، وبين الآيات التاليات من جهة أخرى، فإن النمط الثاني يربط من خلال ربط جملة الصلة أو إحالتها بما قبلها .

ونلاحظ أن الآيات القرآنية التي ترد فيها هذه الإحالات المعجمية لجذر دلالي وارد قــبلها فــي الآيــة السابقة مباشرة، إما أن يكون متعلقاً بالألفاظ التي ترد ضمن حدود لفظ (المؤمنيــن) أو لفظ (الكافرين)، ومن هنا نرى أن مثل هذه المواضع تفسيراً معجمياً لأحد هذيــن العنصرين، وبالتالي نرى تفسيراً للمتقين (البقرة/٢: ٥) والمحسنين (لقمان/١: ٥)، والمؤمنيــن (النمل /١: ٤) والكافرين (الطور/١١، ١٢) والمسرفين (الشعراء/١٥٢) ... وهكــذا إلخ، هذا فيما يتعلق بالإحالة المعجمية إلى كلمة محددة، سواء أكان داخل الآية أم خارجها (قبلها)، وبناء عليه، فإن الإحالات، إنما هي إلى سابق .

٣/٢ : الإحالة المعجمية خارج حدود الآية والمقارنة :

كنــت قــد أشــرت في موضع سابق في ثنايا معالجة الإحالة التقابلية إلى الإحالة المعجمــية؛ لأن الأنمــاط القرآنــية تشتمل بطريق التداخل على وظيفة المقابلة من ناحية، والإحالــة المعجمية من ناحية أخرى، وتلفت هذه الظاهرة النظر في مثل هذه المواضع إلى أن كــل المواضع التي فيها الإحالات المعجمية خارج حدود الآية تقريباً تشتمل على وظيفة المقابلــة، وهــي وظيفة مفهومية كوظيفة الإحالة المعجمية، وقد أدت هذه الرؤية إلى أن هــناك عناصر يمكن أن تتداخل هنا بما ورد ثمة، إلا أن طبيعة المعالجة تبرر ذلك ولا ترده فــيما يتســق مع بعضها البعض، وبالتالي فإن هذا التداخل تفرضه طبيعة المعالجة وطبيعة النصوص المتداخلة وظيفياً فيما بينها؛ نظراً للتشاكل بينهم من الناحية الوظيفية .

علــى أن هناك أنماطاً قرآنية توجز وظيفة (الذين) المشار إليها أعلاه، وأشير فقط إلــى بعض المواضع توكيداً للفكرة وبياناً لجوانبها، وأحسب أن هذا النوع إنما يمثل إيجازاً للوظــائف الموصــولة لجملــة (الذيــن) الواردة قبلاً (الرعد/ ١٩: ٢٥، والنمل/ ٢ : ٥، النحل/ ٢٧: ٣٤، الكهف/١٠٣: ١٠٨) وفيه :

١ــ إحالــة معجمية في ١٠٤ إلى ﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾/١٠٣، ثم وصف في ١٠٥، وهي إحالة تتجاوز في ربطها حدود الآية إلى الآيتين .

٢ــ المقابلــة / المقارنة بين ﴿ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾/١٠٣، ووصفها في(١٠٤: ١٠٦) وبين (الذيــن آمــنوا) /١٠٧، ووصــفهم في (١٠٨)، وهي مقابلة تحقق ربطاً أوسع من الربط المعجمي في الواقع، خاصة إذا كان مع مثل هذا النمط، وبالتالي فإنه :

أ ـ إذا كانت المقارنة فقط يكون الربط أضيق .

ب ـ تتوسع الدائرة، إذا كان معها وصف (مقارنة+ وصف في آيات تاليات) .

ج ـ لربط الأوسع تتحقق فيه :

ـ الإحالة المعجمية .

ـ الإحالة بالمقارنة، وهي إحالة مفهومية، كما أشرت إلى ذلك أعلاه .

ـ الإحالة بالوصف والربط .

وتعمل هذه الإحالات مجتمعة على تماسك بنية النص القرآني من ناحية، وتوسيع الدائرة البحثية من ناحية أخرى، وإذا كانت الأنماط السابقة تأتي في صلات شابكة ومتداخلة، فإننا نوجزها في الركائز التالية :

١ـ التفصيلية، تفسيرا لجذر(المتقين) الواردة في نهاية الآية قبلها .

٢ـ المقابلة بين (المتقين) وصفاتهم (٢: ٥) وبين (الذين كفروا .... فيما تلا ذلك (ابتداء من/٦....) .

٣ـ النتيجة والجزاء، لكل من المتقين والكافرين .

ويمثل نموذج البقرة /٢: ٥ نموذجا متمايزاً من حيث عدم اشتماله على ما ورد عاليه، ونضيف زيادة أن وصف (الذين) الثاني (الكفار) في الآية/٤، جاء في آية تالية / ٥، في حين ورد في البقرة خلافاً لذلك، إذ جاء وصف الطائفتين بما يشكل ملمحاً جوهرياً، بيد أن وصف (المتقين) في الآية/٣،٤، جاء نتيجة في الآية /٥ باستعمال ضمير الإشارة (أولئك) مرتين، الأول : تفسير/توضيح . الثاني : إضافة إلى المعنى الأول : توكيداً وتدعيماً له، ولم يأت وصف (الذين كفروا) بضمير (أولئك)، وإنما بـ (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم) البقرة/ ٧ .

وفي هذا السياق يرى الزجاج : أن موضع (الذين) جر تبعاً للمتقين، ويجوز على المدح، كأنه لما قيل : هدى للمتقين، قيل : من هم؟ فقيل : الذين يؤمنون بالغيب/٢، ويجوز أن يكون موضع (الذين) نصباً على المدح أيضاً، كأنه قيل : أذكر المؤمنين[٢٣] .

[٢٣] الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٠ ، ٧١، ويبدو أن العُكبري قد نقل آراء الزجاج، كما هي، ينظر : التبيان١/ ٢٤ .

وفي تحليل الزجاج لكلمة (المطففين ....) قال : وقد فسر أمره في السورة، فقال ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [٢٤].

٢/٣ : الوظائف الاحالية لجملة (الذي) ودورها في تماسك النص :

يستلفت النظر بشكل أولي أن (الذي) في القرآن تعمل من خلال مستويات إحالية عدة ومتداخلة في آن واحد، إلا أنه يبقى لكل منها سياقه الخاص به، وهكذا يتحقق التماسك من خلال الربط الخارجي (خارج النص) أو إلى ما هو موجود في النص(داخل السور)، ويمكن أن نبرز جوانب ذلك في المطلب التالي :

٢/٠ : الإحالة المعجمية :

٢ /١ : خارج حدود الآية (أو الآيات) .

٢/٢ : داخل حدود الآية الوحدة .

١/٢ : الاحالة المعجمية خارج حدود الآية :

قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الشعراء/٢١٧: ٢٢٠، وفي (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ* وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ* لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الزخرف /٩ : ١٣، ونستبين أن الآية /١٠ : الذي جعل لكم الأرض .... إنما هي :

١ـ إحالة عامة ، ويفاد ذلك من صلة الموصول .

٢ـ إحالة إلى سابق (في الآية السابقة مباشرة) .

---

[٢٤] الزجاج : السابق ٥/ ٢٩٧ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٦٢. واشير إلى بعض المواضع الأخرى : لقمان/٢: ٧، الزمر/١٧: ٢٠، فصلت ٦ : ٨، النجم/٣١: ٣٢، البروج/٩، ١٠، المطففون /١: ٥، المعارج/٢٤ : ٣٥، الماعون/ ٤: ٧ .

٣ــ مــن خلال الإحالة، نستنتج أن صلة الموصول وما بعده، إنما هي إحالة تفسيرية لذلك الجذر الدلالي الوارد قبله في الآية السابقة مباشرة .

٤ــ ثم ترتبط الآيات بما يليها (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) /١٢ بما هو وارد قبلها، من خلال :

أــ الإحالــة إلــى مــتقدم فــي أنــه خارج حدود الآية، وبالتحديد في الآية /٩ : العزيز الرحيم .

ب ــ الإحالــة إلــى سابق ــ أيضا ــ من خلال (هو)، كما هو وارد في الرقم(١) الوارد قبله .

وهكــذا تتضافر هذه العناصر لتعمل على تماسك بنية النص من خلال هذه العناصر المعجمــية والتوكيدية . وعلى أية حال، فإن هذه العناصر تعتمد العناصر اللغوية والعناصر المفهومية، وهما العنصران المختصان بالنص المكتوب .

٥ــ من يرجع النظر في مثل هذه الآيات يجد غالباً أنه بعد الإحالة المعجمية :

أــ تأتــي عناصــر لغويــة، كضمائر الإشارة في تفسير/ توضيح لما هو وارد مع صلة الموصول .

ب ــ عناصر لغوية أخرى، كأدوات العطف : ثم، الفاء، الواو ... الخ .

ج ــ يلــي هــذه العناصر اللغوية عناصر مفهومية حابكة لبنية النص، كالمقابلة والتفصيل (الوصــف)، والإحالة المعجمية، وهي سمة جوهرية لا تنفك عن المواضع التي وردت فيها (الذي) كبنية تفسيرية للبنية اللغوية قبلها، وأن هذه القاعدة ما ورد في سورة الماعون/١: ٣، لــيس فيها مقابل، وإن جاءت الآيات التاليات معطوفة بــ (الفاء)، وهي إحالة معجمية أيضــا، لكن مع (الذين)، وتعد هذه السورة متميزة من حيث الإحالة المعجمية، إذ الآيات / ٢، ٣ تفسيرا معجمياً لما هو وارد في /١ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، في حين تعد الآيات ٥ : ٧ تفسيراً معجمياً للآية/٤﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، وتحتوي على إحالة معجمية مع (الذي) و(الذين) .

وتمــثل الإحالــة المعجمــية سمة جوهرية في هذه السورة بالتحديد، وفي سورة (الناس) كذلكَ، إذ لم ترد المقابلة، حيث جاءت الآيات / ٥، ٦ تفسيراً معجمياً للآية/٤ (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) .

وفـــي مـــثل هذه الحالات لا تنفصل صلة الموصول عن العنصر المعجمي في الآية السابقة، فسواء أكان وصفاً أم مدحاً، فإن الصفة والموصوف، والمدح والممدوح لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإنما هما كالشيء الواحد .

وقد اقترب الزجاج بشكل ملحوظ إلى ما نريد إيضاحه، وهي رؤية دقيقة من حيث الروابط النصية، إذ يرمي إلى أن الروابط لا تعتمد على الروابط اللفظية فحسب، وإنما ثمة أنـــواع مـــن الإحالـــة المفهومية (Kohärenz) القائمة على التماسك الدلالي، وعليه فإن التماســـك أساســـه هـــنا دلالـــي في المقام الأول، وهو ما رأيناه موجوداً بشكل موجز عند الـــزجاج والقرطبـــي والعُكـــبري وغـــيرهم في مواضع منتثرة، وهو ما ليس موجوداً عند الأخفش في معاني القرآن، على أنه وإن كان قد أشار إلى بعض المواضع، فلم يشر إلى أن هـــذه المواضـــع تشكل ملمحاً رئيسياً مع الاسم الموصول في القرآن الكريم، سواء كان مع (الذيـــن أو الـــذي أو التي)، ومما يؤكد هذا الملحظ ــ أنه لم يشر إلى أنها قاعدة عامة في القرآن الكريم ــ أنه :

١ــ قد أشار في عدد من المواضع إلى ذلك، ولم يشر إلى ذلك في المواضع الأخرى .

٢ــ لـــم يشر إلى أن مثل هذه المواضع يوجد ما يماثلها في المواضع الأخرى، أو أنها قد ذكرت في مواضع أخرى، بما يشكل منها جميعاً في عاقبة الأمر سمة جوهرية، وأن الجهة بينها ليست منفكة . وينبغي أن نشير إلى أن (الذين) حين تتكرر في آيات بعدية متتالية، كما في (المؤمنين) المشار إليه، تكون :

أــ إحالة معجمية رابطة بأكثر من آية، كما في الروم /٢٠ : ٢٥ مع الفارق .

ب ــ تفصيلية / تفسيرية، كما في المؤمنين/ ٥٧: ٦١، الفرقان/٦٣ : ٧٧ .

ج ــ وهـــي هـــنا فـــي (٢) عنصر مقابلة، (الشعراء/٧٧: ٨٢، الزخرف/ ٩ : ١٤)، وينطبق هذا الملحظ على العناصر الموصولة الأخرى التي تتجسد فيها مثل هذه السمة الأساسية .

٢/٢ : الإحالة المعجمية داخل حدود الآية الواحدة :

الإحالة المعجمية إلى متقدم داخل حدود الآية، وتأتي في إطار نوعين، نذكرهما كما يلي :

ــ إحالـــة إلى السابق (إحالة مباشرة)، وهي إحالة معجمية، كما هي في النوع السابق (إلى متقدم خارج نطاق الآية)، ويمثل ذلك ما هو في الأعراف/ ١٥٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

رَسُــولُ اللَّـــهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَــهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِــي وَيُمِيتُ فَآمِــنُوا بِاللَّــهِ وَرَسُــولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .
ويحتوى هذا النمط القرآني على إحالتين :

الأولــى : تتمــثل فــي أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الأولى، يمثل إحالة معجمية إلى (رسول الله) قبله مباشرة .

الثانــية : أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الثانية يمثل إحالة معجمية إلى (النبي الأمي) الــوارد قــبلها مباشــرة، وعلى الرغم من أن هذه الإحالة داخل الآية، إلا أنها تظل إحالة متقدمة، ويمكن أن نطلق عليها إحالة ضيقة /محدودة تربط داخل حدود محددة (الآية /٢)، وذلــك في مقابل ربط متوسط خارج حدود الآية/٣، إلى ما هو أكبر من ذلك بداية السورة بوسطها أو آخرها إلى خارج حدود السورة والجزء إلى الأجزاء .

غــير أن العُكــبري يركــز في قوله (الذي له ملك السموات) في موضع نصب بإضــمار أعني أو في موضع رفع على إضمار هو، ويبعد أن يكون صفة لله، أو بدلاً منه، لما فيه من الفصل بينهما بإليكم وحاله، وهو متعلق برسول [25] .

وفــي إبراهيم /٢ [*]﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وفي الآية /٣٩ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّــي لَسَــمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، وفي النمل /١٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

والروم /٤٠ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون ﴾ [26].

---

[25] العكبري : التبيان ١/ ٤٦٣، ولم يشر إلى هذا التحليل الفراء والقرطبي والزجاج في كتبهم .
* ينظر الوجوه الإعرابية التي أشار إليها صاحب التبيان ٢/ ٣٥، ولم أشأ أن أعيدها كاملة تجنباً للــتكرار، علــى أســاس أن نصوصــاً مشاكلة ذكرت في مواضع أخرى من البحث، وربما يكون العُكــبري قــد نقــل الفكرة عن الفراء وطوّرها ينظر الفراء : معاني القرآن ٢/ ٦٧ : الله الذي : يخفــض في الإعراب ويرفع الخفض على أن تتبعه (الحميد) والرفع على الاستئناف لانفصاله من الآية. وقد ذكر القرطبي هذه الآراء قبل ذلك كله ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٣٩ .

٢٦ ثمة مواضع أخرى : سبأ /١ ، فصلت / ٢١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، الأحقاف / ٣٣ ، الطلاق / ١٢ ، على سبيل المثال ، وأحسب أن تحليل مثل هذه الآيات مشاكل لمثل التحليل الوارد في المتن أعلاه.

علـــى أننـــي ينبغي أن أشير إلى أن هناك بعض المواضع التي جاءت الإحالة فيها إلى غير الذات العلية، وهي مواضع محددة فيما أرى، كما يلي :

ـ الصافات /٢١ ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

ـ الطور /٤٥ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ .

ـ النجم /٣٧ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ .

ـ إحالة لفظية :

كمـــا في القصص/١٥﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَـتِلَانِ هَـذَا مِـنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَـزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، ونحاول أن نعلق على جزء من الآية، وهو ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ﴾ يحيل إلى ما هو سابق داخل الآيـــة فـــي (هذا من شيعته)، وبالتالي فالربط لفظي داخلي ضيق (داخل حدود الآية)، ويعد الـــربط الإحالي المباشر إلى الذات العلية ربطاً أكثر انتشاراً في النص القرآني مما هو وارد هنا، ونوجز عناصر الإحالة المعجمية في العناصر التالية :

١ـ الإحالة إلى سابق (خارج الآية السابقة مباشرة أو داخل الآية) .

٢ـ تعـــد الإحالة هنا إحالة معجمية؛ بمعنى أنها تحدد وحدة معجمية محددة وتفسرها جملة الصلة التالية لذلك .

٣ـ تعـــد الإحالـــة إلى سابق (خارج أو داخل الآية) إحالة محدودة ومقارنة، كما سيأتي، علـــى أنها تعمل على الربط النحوي من جهة، والتماسك الدلالي من ناحية أخرى، وهذا ما تكونه الإحالة اللفظية والمباشرة والمعجمية .

٤ـ علـــى الرغم من جَعْل الإحالة هنا محدودة (بناء على تصور ما هو قائم داخل الآية أو الآيتيـــن) إلا أننا يمكن أن ننظر إلى لفظ الجلالة (الله) في المواضع المذكور فيها، أنه يمثل إحالة لفظية (تكرارية) :

ـ تعد هذه الإحالات المذكورة (في الإحالات المعجمية) فيما يتعلق بورود لفظ الجلالة (الله) في النص القرآني مركزاً بالنسبة لـــ (الذي) وما ورد في سياقات أخرى تدور في فلكه .

ـ الإحالة (خارج حدود الآية أو السورة)، وهي بدورها تأتي في إطار نمطين :

الأول : اللفظي (التكراري) .

الثاني : الضمني / الترادفي، وكل من هذين النمطين يمكن أن يتفرع إلى :

ـ متقدم إلى الآية السابقة مباشرة، ويمثل ما هو وارد في :

ـ متقدم إلى أول السورة (خارج وداخل حدود السورة) على أية حال، فإنني أفصّل القول في كل نوع على حدة، على النحو التالي :

ـ الإحالة اللفظية :

ـ الإحالة اللفظية خارج حدود الآية، وهى تعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبلها من الجذر الدلالي، ونأخذ :

ـ الإحالة المعجمية داخل حدود الآية :

كما في قوله تعالى الأنعام /١١٤ ﴿ أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ **فما هو وارد فوق الخط : وهو الذي .. يعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبل لفظ الجلالة (الله)، وهذه الإحالة داخل هذه الآية تعمل على تماسك :**

ـ البنية اللغوية للآية الواحدة :

ـ أن لفظ الجلالة (الله) الوارد هنا يحيل إحالة لفظية على النحو التالي :

١ـ يحيل إحالة لفظية داخل حدود السور، وهى أيضا تأتى في إطار نوعين :

أ ـ إحالة قبلية، وتأتى في إطار نوعين :

ـ الإحالة المتوسطة :

ـ داخل حدود السورة؛ وتمثلها كل المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) مذكوراً في السورة .

ـ الإحالة الموسعة : وتمثلها كل المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في السور السابقة، وهى تتسع وتضيق تبعاً لقربها وبعدها، وبناء عليه، فإن كل موضع من هذه المواضع يعد مركزاً بالنسبة للآخرين لفظ الجلالة (الله)، وهكذا تتقاطع المواضع وتتداخل بما يخلق فيما منها شبكة من العلاقات اللغوية الماثلة على سطح القرطاس .

ب ـ إحالة لاحقة (بعدية) : وتأتى من خلال نوعين :

١ـ الإحالة الضيقة : داخل حدود الآية (إلى لاحق) .

٢ـ الإحالة المتوسطة : داخل حدود السورة، وأقصد بها المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في الآيات اللاحقة، ويختلف الكم اللاحق والسابق من الإحالة اللفظية تبعاً لموقع الإحالة في النص، فليس على هذا الأمر معولاً كبيراً في تماسك النص .

٣ـ الإحالة الأوسع : خارج حدود السورة، وتمثله المواضع التى ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في المواضع اللاحقة في كل السور .

٤ـ الإحالة الضمنية :

وإذا كانت الإحالة اللفظية تأتى من خلال لفظ واحد أيا كان، فالإحالة الضمنية تبعا للسياقات متنوعة، أعني أن لفظ الجلالة (الله) مثلاً، يمثل إحالة ضمنية إلى : ربكم، خالق السماوات والأرض، أو الحي القيوم ... الخ، والعكس، فالإحالة لا تقتصر على ما هو داخل الآية، وإنما توسع الدائرة ليرتبط النص القرآني من خلال هذه الإحالات المختلفة والمتنوعة، وعلى أية حال فإن الإحالة الضمنية يمكن أن تقسم كما هي الحال مع تقسيمات الإحالة اللفظية المشار إليها أعلاه، ونكتفي بالإشارة تجنباً للتكرار، وثمة إحالة ضمنية أخرى، تجسّدها الضمائر الإحالية داخل الآيات والسور، وهناك إحالات ضمنية أخرى، سوف نشير إليها في سياقها من البحث، وعلى هذين النوعين من الإحالة الضمنية تعتمد السور القرآنية، على أن المواضع التالية في النص القرآني، تمثل ما هو وارد عاليه خير تمثيل؛ وليست كل المواضع، وإنما تمثل سمات أساسية [٢٧] :

ـ الإحالة المعجمية خارج حدود الآية

لكنها ليست كما هي مع (الذين) بشكل مباشر، خاصة أنها مع (الذي) تأتى على شكل :

هو الله .... هو الذي .... الله الذي ...

ومن هنا، فالأمر مختلف، كما هو وارد ثمة مع (الذين) وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في موضع مضى من البحث، ونوجز جوانب الاختلاف بينها فيما يلي :

١ـ أن جملة الصلة مع (الذين) تعد تفسيراً مباشراً للجذر الدلالي الوارد في الآيات السابقة مباشرة .

---

٢٧ الأنعام/ ١٤١، ١٦٥ . الأعراف/ ١٨٩، التوبة/ ٣٣، يونس /٢٢، الرعد/ ٣ ، الفرقان/ ٤٦، ٤٧، فاطر/ ٣٤، الأحزاب/ ٤٣ .

٢ــ أن جملــة الصــلة مع (الذي) تأتى معطوفة على جمل / آيات سابقة، وليس الأمر مع (الذين) على هذه الشاكلة .

٣ــ أن جملــة الصــلة مع (الذين) و(الذي) تعرب مبتدأ، إلا أن التمايز بينهما يكمن في أن جملة الصلة مع (الذي) يمكن أن تحيل إلى :

ــ سابق داخل الآية .

ــ سابق إلى الآية السابقة مباشرة .

ــ سابق ويفصل بينه بعدد من الآيات .

ــ سابق في النص القرآني .

ــ خارج النص القرآني وتمثله الإحالة مع الذات العلية في مواضع عدة .

أما جملة الصلة مع (الذين)، فلا يمكن أن تحيل إلى :

ــ سابق في الآية السابقة مباشرة، وبالتحديد في الكلمة الأخيرة، وقد أبنا عن ذلك فيما تمت مناقشته بفضل بيان .

ــ سابق في الآية السابقة، وبالتحديد إلى جذر دلالي داخل الآية، وليست الأخيرة، وقد تمت مناقشة مثل هذه المواضع .

٤ــ أن جملة الصلة مع (الذين) و (الذي) تشتركان في أن كليهما يحيل إلى :

ــ سابق داخل الآية .

ــ نهاية الآية السابقة مباشرة .

ــ إلى مواضع سابقة من السورة .

ــ إلى مواضع أخرى سابقة من النص القرآني ، ويأتي هذا النوع من خلال :

ــ الإحالة اللفظية .

ــ الإحالة الضمنية (وقد أشرت إلى مثل هذه الإحالات بشكل واضح فيما مضى) :

ــ إلى لاحق : وهو كما ورد في الإحالة إلى سابق، ولكنها معكوسة .

٥ــ أن جملــة الصــلة مع (الذي) تُعرب خبراً، وهو معرفة من خلال جملة الصلة، وليس نكرة كما في :

هو الله الذي . الله الذي خلق . ربكم الذي ...

وبالتالي فإنها جملة أساسية لإيضاح المعنى وتكامل أجزائه بالنسبة الآيات، وبناء عليه، فإنها عنصر قوى ومهم في تأكيد الدلالة المرجوة ، إلا أن الأمر مع (الذين) على مثل هذه الحالة، من الناحية الإعرابية ، وإن كنت أتصور أن قرب صلة الموصول (الذين) من المواضع المفسرة لها تضعف بشكل أو بآخر من قيمتها الذاتية، إذ المعنى الأساسي مرتبط في الذهن بما هو قبله مباشرة، ومن هنا يقلل من استقلالية (الذين) في مثل هذه المواضع فيما أحسب، على أن الإحالة المعجمية خارج حدود الآية، تاتى في النص القرآني من خلال عدد من البنية اللغوية، التي يمكن أن نبرز عناصرها كالتالي :

ـ إحالة معجمية إلى متقدم في آيات سابقة (تفصل بينهما آية أو اثنتين أو أكثر كما في قوله تعالى ﴿ {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ *وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ﴾ الأنعام/ ٩٧، ٩٨ ، ٩٩، ومن هنا فإن هذه الآيات مع جملة الصلة فيها :

وهو الذي جعل . وهو الذي أنشأكم . وهو الذي أنزل .

استعمال العطف (الواو) ثم الضمير (هو) + صلة الموصول (الذي+ الفعل) وهو متنوع ويدل على وحدانيته من ناحية، وعلى قدرته على أن يجعل وينشأ وينزل في آن واحد من ناحية أخرى، وكل هذه المواضع تحيل إلى :

ـ ما هو سابق في الآية (٩٥)، مع الأخذ في الاعتبار أن الآية (٩٦)، إنما هي تفصيل لتلك الصفات الواردة في الآية السابقة لها مباشرة من خلال الإحالة بالضمائر المتنوعة فيها .

ـ أن كل ما هو وارد في ٩٧، ٩٨، ٩٩ (هو الذي + الفعل)، إنما يحيل إلى شئ واحد في ٩٥ : أن الله فالق الحب والنوى ... وهذه الرؤية تدعم ما رأيته قبلاً، تعدد الصفات والمصدر واحد، وبالتالي فإن الآية /٩٥ تعد مركزاً أساسياً لهذه الآيات، وأنها في هذا الموضع (٩٥)، إنما يحيل إحالة :

ـ ضمنية إلى سابق أو لاحق :

ـ لما هو وارد قبلها في الآية أو الآيات في السورة أو السور السابقة مباشرة من خلال الضمائر .

ـ للصفات الواردة للذات العلية في السورة مباشرة أو في السور السابقة .

ـ لفظـية إلى سابق أو لاحق، وقد أشرت إلى هذا النوع فيما مضى، وإنما تطبق العناصر السـابقة عليها فقط، وفي قولـه تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّـام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْـبُدُوهُ أَفَـلاَ تَذَكَّـرُونَ ﴾ يونـس/٣، ويمثل هذا النمط إحالة إلى خارج السورة في كل المواضع التي ورد فيها لفظ (رب)، وهى :

ـ إحالة إلى كل السور السابقة .

ـ إحالة إلى كل السور اللاحقة .

وهذه الإحالات تكون :

ـ لفظية إلى لفظة (رب) .

ـ ضـمنية إلى لفظ الجلالة (الله) وصفات الحق سبحانه في هذه المواضع، وهذه الإحالة أيضـاً إلـى سابق وإلى لاحق، إما إلى سابق خارج السورة، وإما إلى لاحق داخل السورة والسورة اللاحقة (التالية)، وتمثل الإحالة إلى لاحق :

ـ داخل حدود الآية (ذلكم الله ربكم ...) .

ـ داخل السورة في المواضع التي ذكرت فيها لفظة (رب)، وهى إحالة لفظية بحتة وإلى صفات الحق الأخرى، وهى إحالة ضمنية .

وتمـثل جملـة الصـلة : الذي خلق السموات والأرض ... جملة تفسيرية لما هو وارد قـبلها داخل حدود الآية الواحدة في (إن ربكم الله ....)، وكل هذه العناصر الإحالية القريـبة والبعـيدة سـواء علـى مستوى الإحالة الضيقة أم الإحالة المتوسطة أم الإحالة الموسعة التي تعمل على تماسك أجزاء بنية :

ـ الآية الواحدة من جهة .

ـ هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها من جهة ثانية .

ـ السورة ودخولها في علاقات رابطة (بأنواعها المختلفة من جهة ثالثة) .

ـ أجزاء الجزء الواحد .

ـ اللغة لمثل هذه المواضع في القرآن الكريم مجتمعة .

ثم تأتي الآية/٥ من يونس ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لتحيل :

١ــ إحالة لفظية، إلى ربكم في الآية / ٣ من السورة ذاتها .

٢ــ إحالة ضمنية، وتمثلها الضمائر الواردة في الآية / ٣، وكل من الضمائر في (٤) والضمير (هو) وصلة الموصول في (٥)، إنما تحيل إلى المركز في السورة (ربكم) في الآية (٣)، وتحيل إليها كل المواضع الواردة في السورة، فيما يلي ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

وفي الإسراء/٦٦ ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ نلاحظ أن (ربكم) لم يأت باستخدام أدوات العطف المختلفة، اعتمادا على الربط اللفظي بين هذه الآية والآية التي تسبقها مباشرة، ويتمثل في :

ــ " وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً " في الآية السابقة مباشرة/٦٥ .

ــ إحالة إلى (٦٠) " وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ " .

ــ إحالة إلى (٥٤) "وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ " .

ــ الإحالة إلى متأخر :

ــ إما إلى متأخر داخل السورة .

ــ وإما إلى السور اللاحقة .

وهناك الإحالة الضمنية :

ــ إلى سابق :

ــ داخل السورة .

ــ داخل السور السابقة *.

ــ إلى لاحق :

ــ داخل السورة .

---

* أشير إلى بعض المواضع الأخرى، اكتفاء بما ورد من تحليل، أرجو أن يكون محققاً الهدف كما في الأنبياء/٣٣ القصص/١٨، الروم/٢٧، غافر/١٣، ٣٠ ، ٣٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، الشورى/ ٢٥، الفتح /٤، الأحزاب /٣٢ .

ـ داخل السور اللاحقة .

ـ داخل أسوار الآية الواحدة .

وأمــا الإحالة الضمنية، فهي أن تشير إلى المعاني التي به أو الدالة على الذين في قلوبهم مرض كالمنافقين والكافرين، وما ينتمي إلى كل منهما .

ـ إحالة إلى خارج السورة :

﴿المر تِلْكَ آيَــاتُ الكِتَــابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد /١ .

﴿ الــر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ إبراهيم/ ١ .

﴿سُــبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ الإسراء/ ١ .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ الفرقان/ ١، ويلاحظ على مثل هذه المواضع فيما يتعلق بالإحالة أنها :

ـ خارجية، على أساس أن لفظ الجلالة (الله) أو ما يتعلق به لم يأت ذكره في النص؛ أي في بداية الآية مباشرة .

ـ خارج حدود السورة، حيث ورد في مواضع أخرى توضّح (الذي نزل الفرقان)، كما هــي الحــال بالنسبة لسورة الفرقان الواردة أعلاه، وتعد الإحالة التي خارج حدود السورة إحالتين : قبلية، وبعدية .

وكليهما إحالة لفظية، وقد تأتى فيها الإحالة الضمنية، في الذي نزل الكتاب بالحق أو (أنــزل) بصــيغة الــتعدية بالهمزة أو أنزل عليك القرآن ... الخ ، ولا ريب أن المعنى واحــد، كمــا هــو وارد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه الآيات الأولي في هذه الســور غالــباً مــا تكــون تمهيداً لما هو قبل ذلك، حيث تأتى الآيات التاليات لذلك تفسيراً معجمــياً لمــا هو وارد قبلها، كما في النمل (٣)، إنما هي تفسيرية من ناحية، ومن ناحية أخرى، فهي إحالة معجمية إلى (المؤمنين) في الآية /٢، ووصف السابقة لها مباشرة .

والفرقان/٢ * ﴿ الَّذِي لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ... ﴾ حيث هي تفسير لما هو وارد قبلها في الآية/١ .

﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، والحال كذلك بالنسبة لما هو وارد في الرعد وإبراهيم في المواضع المذكورة سلفاً، وتمثل هذه صفة أساسية في مثل هذه المواضع، باستثناء آية الإسراء/١، والكهف/١.

– إحالة إلى خارج النص (الربط) الوظيفة الأساسية .

كما في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ مريم/ ٧٧، ٧٨ .

وفي طه/٧١ ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ . وكذلك في الأنبياء/ ٣٦ ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

ونلاحظ على هذه الآيات، خلافاً لكل الآيات والمواضع السابقة، حيث تعتمد الإحالة على السياق غير اللغوي، كما يسميه بحيري في مواضع متفرقة من دراساته .

ففي آية مريم / ٧٧، لم تأت الإشارة فيها إلى صفة صاحب هذا القول، وإنما يشير المقام [٢٨].... وفي الأنبياء الأمر بيّن، إذ السياق غير اللغوي سياق تكذيب بما جاء به الله، وقد آمن السحرة، بما في ذلك كبيرهم، وبما أن الأمر متعلق به، وهو الأساس في إيمانهم، والنتيجة : لأقطعن أيديكم ... ولأصلبنكم في جذوع النخل ...) ولا شك أن هذا العذاب، إنما هو بسبب إيمانهم، وهنا يبرز دور المقام في تحديد المراد . وواضح أن آية الأنبياء/٣٦ الأمر فيها مرتبط بالمقام كذلك، إذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الكفار حاولوا أن يبعدوه عما كان يعبدوا، والاستفهام دال على السخرية والاستهزاء، ولا شك أن

---

* ينظر تصور العُكبري حول قوله تعالى (الذي له) كما ورد في مواطن سالفة الذكر. التبيان ٢/٢١٠ .

[٢٨] جاء في أسباب النزول للسيوطي : أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت، قال : جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال : لا أعطينك حتى تكفر بمحمد، فقلت لا حتى تموت، ثم تبعث، فقال : إذا لمبعوث؟ فقلت : نعم، فقال : إن لي هناك مالا وولدا، فنزلت هذه الآية ص١٨٠، وقد أورد القرطبي قبل ذلك تفصيلا موسعا حول ذلك، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٦.

المقـام يشير إلى أن النبي الأمي هو المقصود ﴿ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ، وعلى هذا، فإن مــثل هــذا الــنوع لا يعتمد على البنية اللغوية، وإنما يعتمد على المقام في توضيح بنيته اللغوية، خاصة وأنه ليس مذكوراً .

ــ الإحالة إلى مواضع أخرى من السور القرآنية :

١ــ كمــا فــي قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ الرعد/١٢ .

٢ــ وفــي يس /٨٠ ، ٨١ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

١ــ تحلـيل الآية الأولى البقرة /٢٠ ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ .

٢ــ الــروم/٢٤ ﴿ وَمِــنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْــأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وتحيل آية يس إحالة إلى الآيات التاليات من النص القرآني[٢٩]: ومن هنا فإن آية الرعد /١٢، تمثل :

١ــ عنصراً إحالياً يقدم تماسكاً نصياً .

٢ــ تمثل الإحالة إحالة لفظية .

٣ــ هذه الإحالة تشير إلى سابق متقدم أو متأخر .

في حين أن آية يس / ٨١ تمثل :

١ــ عنصراً إحالياً يعمل على سبك وحبك بنية النص .

٢ــ إحالة لفظية .

٣ــ هذه الإحالة اللفظية تحيل إلى سابق فقط، وتمثل هذه علامة فارقة بين النوعين .

أما أشكال (الذي) في القرآن الكريم، فنوجزها في الأشكال التالية :

ــ فعل + فاعل + مفعول .

ــ فعل ماض فقط .

---

٢٩ الأنعام/ ١، ٧٣ ، الأعراف/٥٤ ، يونس/ ٣، هود/ ٧، إبراهيم/١٩، ٣٢ النحل/٣ ، الإسراء/ ٩٩، الكهف/ ٥١ .

ـ فعل مضارع فقط .

ـ جار ومجرور (شبه جملة) + مبتدأ .

ـ فعل مضارع + اسم موصول + جار ومجرور .

ـ ضمير (مبتدأ) + جار ومجرور + خبر .

ـ فعل + جار ومجرور + مفعول .

ـ جملة الشرط + جواب الشرط .

ـ جار ومجرور + الاسم الموصول + جملة .

ـ جار ومجرور + جملة فعلية .

وبالتالي استخدم مع الذات العلية، ومع لفظ الجلالة (الله)، وهذا الاستعمال يأتي في عدد من الأشكال التالية :

ـ مع لفظ الجلالة مباشرة : الله الذي سخر .

ـ مع لفظ الجلالة باستخدام الضمير: هو الذي .... .

ـ مع لفظ الجلالة بشكل ضمني : الذي أمدكم بأموال .

١ـ مقارنة بين المؤمنين والكافرين (بعدم استعمال إما) .

٢ـ معجمية تفسيرية : الذي خلق .

٣ـ تأتي " الذي " مقارنة مع أداة موصولة أخرى مثل (ليس)، ومن خلال النص القرآني، نجد أن " الذي " جاءت من خلال نوعين :

الأول : مع الذات العلية، وتمثل السمة الأكثر وروداً وانتشاراً في القرآن مع " الذي " .

الثانية : جاءت مع أخلاط شتى وإحالات عدة، وعلى الرغم من التنوع في الإحالات، فيما ورد في مثل هذا الموضع، إلا أن أنماط هذا النوع جاءت قليلة مقارنة بما جاء في النوع الأول .

وإذا كنت قد أشرت إلى إحالات النوع الثاني، فإن إحالات النوع الأول الأكثر تردداً في النص القرآني، يمكن أن نشير إلى التصور العام على هذا النحو :

١ـ إحالة مباشرة باستخدام لفظ الجلالة (الله) .

٢ـ إحالة ضمنية باستخدام الضمير (هو) .

٣ـ إحالة باستخدام صفة من صفاته تعالى مع (الذي) .

وهنا نلاحظ أن هذه الإحالات الواردة أعلاه، كلها تؤدى إلى ربط النص سواء كان الــربط مباشــراً؛ أعنى الإحالة داخل الآية إلى سابق أم إلى لاحق، وهنا نشير إلى أن هذه الإحــالات تمثل الإحالات فيها شيئاً واحداً، وهى الإحالة إلى متقدم مباشر داخل حدود الآية بشكل أولى، ثم إن هذا الذي هو داخل حدود الآية (الذات العلية) تحيل إلى مواضع أخرى مــن الــنص القرآني تفسرها وتوضح معناها، وبالتالي فإن إحالة مثل هذا النوع يمكن أن نتصورها على النحو التالي :

١ــ الإحالة القريبة : تحيل إلى ما هو متقدم أو إلى لاحق داخل الآية أو السورة .

٢ــ الإحالة البعيدة : وهى الإحالة إلى المواضع الأخرى من النص القرآني التي تفسر هذا الموضع أو ذاك .

علــى أنني أقرر أن مثل هذه الإحالات، ليست بدرجة واحدة، أو هي ليست سواء، إذ أحســب أن الإحالــة الضمنية هي الأقوى، وأنها تأتى في المرتبة الثانية، وتأتى الإحالة باســتخدام الصــفات المذكورة في مواضع أخرى من النص، فتجعل منها إحالة تحتاج إلى مطابقة النصوص لإظهار العلاقات القائمة بين مثل هذه المواضع، وما تدل عليه من ترابط فــي بنــية الــنص القرآني، وهكذا فإن الترتيب الوارد أعلاه له دلالته، كما أبنت عن ذلك بفضــل بــيان، وبناء على ما ورد أعلاه، فإن النوعين الذين تقوم بهما " الذي " يمكن أن يكون كالتالي :

١ــ أن الســمات الدلالــية الحاكمة لتلك التراكيب التي ترد مع الذات العلية مفارقة تماماً لتلك الدالة على أشياء أخرى كثيرة، فمع الذات العلية تؤدى :

أــ الربط بالإحالة المباشرة (الذات العلية) .

ب ــ الإحالة الضمنية (هو) .

ج ــ الإحالة بالصفات .

وتكون الإحالة في كل هذه المواضع إحالة متأخرة داخل حدود الآية، وربما الآيات التالــية مباشرة، غير أن مقارنة النصوص مع "الذي" التي لم ترد مع الذات العلية ووردت في سياقات أخرى، تبين أنها تكون :

١ــ مقارنة بين صفات أو فريقين : المؤمنين والكافــرين باستخدام (الذي) مع كل منها .

٢ــ المقارنة بين فريقين ... باستخدام أداة "من " من ناحية" و" الذي " من ناحية أخرى .

٣ـ تكون الإحالة معجمية وتفسيرية، وهنا تكشف السياقات عن خلافات في بنية التراكيب مـع كل فريق، خاصة أنها تؤدى إلى التمايز، ويمكن أن تحيل إلى متقدم داخل السورة في الآيات المتقدمة : الذي لمتنني فيه يوسف/ ٣٢ .

وهو الذي مد الظل، الرعد/ ٣، تحيل إلى :

١ـ متقدم من الآية/٢ من السورة ذاتها .

٢ـ إحالة إلى متقدم ليس موجوداً في النص القرآني، إنما يقع خارجه، ثم يأتي العطف في (٣) وفـي (٤) وفي (٦)، وبعد ذلك يأتي الوصف/ النتيجة أكثر من مرة أولئك .. أولئك .. أولـئك، الـرعد/ ٦، ويلاحظ على قوله تعالى (أم حسبت) كما ذكره د. فريد عوض بعدما عرض لأقوال المفسرين خلص إلى رأى، أعرض له كالتالي :

فالإحالــة هنا خارجية على اعتبارين، الأول : أن المرسل سبحانه وتعالى لم يذكر اسـم رسوله صراحة في نص القصة . الثاني : أن الخطاب له صلى الله عليه وسلم، ولكن المقصـود به غيره ، وغيره أيضاً (أهل الكتاب) لم يرد لهم ذكر في نص القصة ... ويمكن اعتـبار هذه الإحالة داخلية، على اعتبار أن القصة جزء من نص كبير هو سورة الكهف، فتكون الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور بلفظ لغوى يدل عليه، في أول آية من السورة في قوله تعالى﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الكهف/١ [٣٠] .

وبـنـاء عليه، فإن الإحالتين ممكنتان من الناحية الفعلية، وهى رؤية مفارقة لرؤية " نحو النص " الذي يريد أن يقيم تصورات جديدة مباينة لتلك المتبعة في" نحو الجملة "، وإذا كان " نحو الجملة " يرى أن هناك بعض المواضع تحتمل إعرابين، وتشير هذه الرؤية إلـى أنها تحتمل المعنيين معاً، وأنه لا يمكن الجزم بترجيح أحد المعنيين على الآخر، وهذه رؤية يردها " نحو النص " ولا يقبلها، وتمثل هذه علامة فارقة بين النحوين .

وبالتالـي فـنحو الجملة يرى الرأيين، دون أن يرجح أحدهما على الآخر، أما نحو الـنص فـيرجح أحـد المعنيين بقرينة من قرائن النصية التي أشار إليها كل من إيزنبرج وطورها فيما تلا ذلك كل من بوجراند/ درسلر، ومن ثم يردون رؤية قبول الاحتمالين معاً، ويرجحون أحد هما بقرينة من قرائن النصية [٣١] .

---

٣٠ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف ص٤٢، ٤٣ .

٣١ أشـير إلـى بحث د. تمام حسان : نحو الجملة و نحو النص ص٤ : ١٣، حيث معالجة فريدة لمـثل هـذا النوع، ويحتاج النص القرآني إلى دراسات معمقة لاختبار فاعلية وجهة نظر نحو =

أمـــا تصور " نحو الجملة " فيمن جاء ذكرهم، فقد سارت فيه رؤية د. فريد عوض حيــن اعتــبر الإحالة خارجية وداخلية في آن واحد، وبالتالي فإنه يرتضيهما معاً، وهو ما يرفضه " نحو النص " ويصر على تحديد إحدى الإحالتين التي يعود عليها الضمير وترجح مــن معايــير الــنص المقترحة عند علماء النص، وما تصوره د. فريد يظل واقعاً لا ريب ضمن أسوار " نحو الجملة " .

وثمـــة ملاحظـــة أخرى تتعلق بهذا الشأن، وذلك اعتباره أن النبي صلى الله عليه وســلم، لــم يأت ذكره مباشرة داخل حدود القصة، وبناء عليه، اعتبر أن الإحالة خارجية، بــناء على وروده في خارج القصة، وهو أمر فيه نظر، ذلك أن النص القرآن كله يعد نصاً واحداً، ومن هنا فالإحالة ليست إلى خارج النص، وإنما الإحالة إلى :

ـ خارج حدود الآية / الجملة .

ـ داخل حدود السورة .

ـ وبناء على ذلك، فإن الإحالة هي إحالة إلى متقدم داخل حدود السورة، ومن ثم فإن الإحالة تعمل على ربط بنية النص من خلال إعادة اللاحق على السابق، وهو أمر لم يشر إلى أهميته الباحث .

ـ ولــم يشــر إلى علاقة سورة الكهف بما هو وارد في موضع آخر من النص القرآني، وأقصـــد بـــه الآيـــة الأولى من سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَـرَامِ إِلَـى الْمَسْـجِدِ الأَقْصَـى) وهكـــذا تمثل الإحالة هنا إحالة "ترادف" كما أشار إليها واورزنياك، وهكذا تمثل الإحالة بين اللفظين المترادفين ليس ربطاً بين بنية السورة، وإنما تــتعدى بعلاقة المرادفة إلى ربط بين بنية السورتين، وأشير إلى توضيح ذلك، لما فيه من توكيد، بما يلى :

* فـــي سورة الإسراء/١ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ .

* فـــي سورة الكهف/١ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ يُلاحَظ أن الآيـــة الأخيرة من سورة الإسراء﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ

= الجملـــة، وكنـــت قـــد اطلعت على تصورات أولية لمثل هذه الآراء عند أصحاب معاني القرآن، وبخاصة الفراء .

فِـي المُلكِ ولَمْ يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾، وفي بداية سورة الكهف ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّـذِي أنــزَلَ عَلــى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾، نلاحظ الربط بإعادة اللفظ في آخر الإســراء/١١١، وأول الكهف من خلال ما ورد فوق الخط ... ويمكن أن نشير إلى علاقة الترابط بين هاتين السورتين، وما لها علاقة هكذا ﴿ الحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أنزَلَ عَلى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾ الكهف/١.

الحمد لله : إحالة معجمية إلى الإسراء/١١١، ربطها بنهاية السورة التى قبلها .

عبده : إحالة معجمية إلى أول الإسراء ، وهكذا ترتبط :

ـ بداية سورة الكهف/١ بنهاية سورة الإسراء : الحمد لله .

ـ بداية سورة الكهف ببداية سورة الإسراء : عبده .

ولا يخفــى أن التماسك النحوي والدلالي بين العناصر المكونة للبنية اللغوية التي تعمــل علــى تماســك بنيته وترابط أجزائه، وهى لا ريب واحدة مما تكسب النص القرآن إعجــازه . وتــبقى ملاحظة تتعلق ببداية سورة الكهف ونهاياتها، وأعنى لفظ : عبده /١، بعباده /١١٠ .

وكــأن العلاقــة قائمــة بيــن اللفظين بعلاقة المقابلة وأن (عبده) تفيد الخصوص والثانــية (بعبادة ربه) تفيد العموم، وأن جعل محمدِ صلى الله عليه وسلم عبداً له، وهو ما يترتــب عليه صلاح الكون كله، وهم القوم الذين يرجون لقاء ربهم ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّــهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ الكهف/١١٠، ومن هنا تقع أحداث الســورة بين ما يفيد الخصوص وما يفيد العموم، وكأن قصة الكهف كلها، إنما هي تحفيز لهمــم الكافرين بضرب الأمثال، وهو ما جعل الحق يعيد ذكر قصة ذى القرنين في السورة مرتين، لما في ذلك من الردع بالتذكير لما حدث للأمم السابقة .

وإذا كــان في ذلك ردعاً (القصص والتذكير في السورة) فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي نهايتها (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) / ١١٠ وهى نتيجة تتسق مع ما ورد في بداية السورة .

وإذا كــان مــا ورد من نتائج القربى بين الآيات بعضها ببعض، وكذلك السورتين صحيحاً ـ وهو إن شاء الله كذلك ـ فإننا يمكن أن نبرز أن بداية سورة الكهف تمثل بؤرة الدائــرة بيــن الســورتين، أو تمثل المحور الذي من خلاله تعمل الروابط المختصة بسبك وحبك النص، من خلال بيان وجوه علاقتها :

ـ ببداية سورة الإسراء .

ـ بنهاية سورة الإسراء .

ـ بنهاية سورة الكهف / ١١٠ .

ـ الكهف :

ـ بالإحالات الواردة في سورة الكهف .

ـ بالإحالات (الضمائر) العائدة إلى السور القرآنية المختلفة :

ـ المتقدمة في سورة سابقة مباشرة أو يفرق عنها عدد من السور .

ـ اللاحقة في السورة التالية أو يفرق عنها عدد من السور . وهكذا تؤدى هذه العلاقات المتشابكة بين الضمائر إلى التماسك النحوي والدلالي معاً إلى انسجام وحدة النص .

وهكذا فإن ارتضاءه إحالتين يخرجه عن دائرة " نحو النص " إلى دائرة " نحو الجملة "، وبالتالي تظل رؤيته واقعة في إطار النحاة القدامى، وذلك من خلال :

١ـ ارتضائه إحالتين (خارجية، داخلية) تخرجه من دائرة حدود " نحو النص" وتدخله ضمن خطوط " نحو الجملة " بناء على ما هو وارد سلفاً في التحليل .

٢ـ إشارته إلى الإحالة بالنسبة للضمير (الضمائر) إلا أنه لم يشر صراحة إلى أهمية هذه الإحالات، وأنها لم تتعد حدود الآية الواحدة إلى عدد من الآيات :

ـ داخل السورة، وبالتالي تجاوزت الآية الواحدة .

ـ خارج إطار السورة، وبالتالي، فإن الربط قائم، ليس بين بنية السورة الواحدة، وإنما يتجاوز ذلك إلى ربط بين بنية عدد من السور، قد تكون متقدمة أو لاحقة، وهكذا يتقاطع عدد من السور ويتداخل مع سور أو سورة أخرى، وتمثل هذه الرؤية أن آيات السورة الواحدة تتقاطع وتنسجم ليس فيما بينها، وإنما تتجاوز ذلك إلى تقاطع مع آيات أخر، تؤدى إلى الانسجام والالتحام ولا تؤدى إلى التنافر، وهذا ما لم يشر إليه الباحث .

وإذا كانت المواضع التي تأتى فيها (الذي) أو (الذين) داخل الآية/ الجملة، أعني عدم ورودها في صدر الآية؛ كما هي الحال مع الإحالة المعجمية، وهنا ملاحظة أود استثمارها، أن رؤية أصحاب كتب معاني القرآن في قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) البقرة/١٨٥، يرون : الذي أنزل، أحدهما : هو خبر مبتدأ محذوف، تقديره هي

شـــهر، يعـــنى الأيـــام المعـــدودات، وبالتالي يكون نعتاً للشهر، أو لرمضان، والثاني : هو مبتدأ[٣٢] .

وموجز رؤية أصحاب كتب معاني القرآن أن : الذي أنزل، فيها وجهان، أي يحتمل أكـــثر مـــن دلالـــة حسب رؤيتهم، غير أننا يمكننا أن ننظر إلى هذه الرؤية من وجهة نظر نصـــية مخـــتلفة، خاصة أنها ترتضي الرؤيتين، وهي قريبة من رؤية " نحو الجملة " في ارتضائهم الرؤيتين معاً، وهى مفارقة لرؤية " نحو النص " .

ونـــنطلق فـــي ذلـــك، من خلال رؤية علماء البلاغة * الذين يرون أن (الخبر) في أساســـه هـــو صـــفة للمبتدأ، ويؤدى هذا التصور إلى أن اعتبار الذي أنزل... خبراً لشهر رمضـــان، أو هو صفة، وبالتالي فالرؤيتان في واقع الأمر تؤديان إلى تماسك الجزء الثاني من الآية بالجزء الأول منها .

وعلى الرغم من ذلك، فإن اعتبار (الذي أنزل...) صفة صريحة، جديرة عندي من اعتـــبارها خـــبراً، وإن كانـــت صفة ضمناً. ونبيِّن أهمية اعتبارها صفة حين ترد (الذي ، الذيـــن ، التـــي) في صدر الآية، فإن اعتبارها صفة يجعل منها صفة مائزة مرتبطة بما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، أما جعلها خبراً، فإن هذه الرؤية تجعلها معزولة عن الآية السابقة .

وبـــناء على ذلك، فإني لا أرى وجهاً لما ذهب إليه أحد الباحثين أن : الموصولات ودورهـــا في التماسك النصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة [٣٣]، والترابط في هذه السورة، إنما :

- يتجاوز حدود الآية الواحدة .
- وحدة الموضوع التي تدور أحداث السورة حولها، إنما هو موضوع واحد، ولنأخذ

٣٢ ينظر حول ذلك : الفراء : معاني القرآن ١/ ١١٢، ١١٣، الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٣، العُكبري : التبيان ١/ ١٣٠، ١٣١، الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/ ٧٤٣ .

* ينظر حول هذا التصور لدى الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٤٨، ١٤٩ .

٣٣ د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي ١/ ١٩٨، وإن حاول في مواضع كثيرة أن يكشف الترابط بين هذه العناصر (١/ ١٩٨، ٢١٤ ، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٠) ومواضع أخرى، لا داعي لحصرها .

نموذجـاً لما أورده الباحث في سورة الملك، حينما أشار[٣٤] إلى الأرقام التالية من سورة الملـك : ١، ٢، ٣، ٥، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٠ ، كان الأجدر به بـدلاً مـن أن يقول : فهذه المخلوقات كلها ــ والتي ذكرتها الآيات ــ تقع في ملك الإله تـبارك وتعالى، وكأن الآيات من (٢) إلى آخر السورة تفصيل لهذا الملك، وهذا التفصيل كلمـا طـال احتاج إلى رابط يربطه بمركز / نواة النص أو جملة الأساس، وهذا ما حدث في هذه السورة، والسور التي سبق تحليلها [٣٥] .

هـذا الكـلام فيه تحليل جزئي مقتطع من ناحية، ومن جهة أخرى كان الأولى أن يشير إلى ملحظين يدعمان هذه الرؤية ويؤكد إيضاحها، ويبدو ذلك ناصعاً من خلال :

١ــ الفعـل (تبارك) الذي لم يرد في النص القرآني إلا خاصاً بالحق سبحانه، وهذا يؤكد أنه خاص بتنزيه المولى وتعظيم شأنه .

٢ــ أن هـذه المواضـع التي ورد فيها الفعل (تبارك)، إنما تحيل إلى المواضع الأخرى، وهـي إحالة لفظية، وبالتالي تحدث إحالة بين هذه المواضع المختلفة من خلال التركيز (أو تذكر) الفعل (تبارك) الدال على استحضار عظمته سبحانه .

٣ــ كان ينبغي أن يشير إلى أن التفصيل الوارد في سورة (الملك)إنما يأتي من خلال :

ــ الربط بين جملة الصلة الواردة في الآية الثانية، وبين الذي بيده الملك في الآية الأولى .

ــ أن الآيـة الثانية إحالة معجمية لصفات الذي بيده الملك في الآية الثانية، ويأتي ذلك من خـلال : الـذي خلق ..... وتبدو ملامح التفصيل (الإحالة المعجمية) في أنها تكررت في الآية /٣، مع ملاحظة أنها أوردت صفات أخرى للذي بيده الملك، الذي خلق سبع سماوات طـباقاً، ثم يأتي العطف، فيما تلا ذلك من آيات بـ (ثم) مرة، و(الفاء) مرة أخرى وهكذا، ومن هنا، فإن الضمائر الموصولة وغيرها من العناصر اللغوية تعمل على :

١ــ ربط بنية هذه الآيات بعضها ببعض .

٢ــ ربط بنية السورة كاملة .

٣ــ تحيل إلى مواضع أخرى من خلال الفعل (تبارك) .

٤ــ تحيل إلى مواضع أخرى من النص القرآني، وبالتالي تتجاوز حدود الآية من خلال :

---

[٣٤] السابق : ١/ ٢١٤ : ٢١٧ .

[٣٥] ينظر : السابق ١/ ٢١٥ .

أ ــ الفعل (تبارك) يحيل ضمناً إلى الأفعال والمصادر الخاصة بالذات العلية كالفعل : سَبّحَ، سُبْحَانَ، في كل المواضع، وهي أفعال قريبة في معناها من الفعل (تبارك)، وهي إحالة ترادفية .

ب ــ الفعل (تبارك)، إحالة معجمية، لورود الفعل في مواضع أخرى .

ج ــ من خلال الضمائر، وهي إحالات معجمية من ناحية، ومن جهة أخرى إحالات ضمنية، حسب ما يقتضي السياق، وعلى هذا، ينبغي أن يوسّع من النظر ليبيّن :

ــ ليس تماسك الآيات داخل السورة الواحدة .

ــ وإنما تماسك الآيات داخل النص القرآني من جهة أولى، وليظهر العلاقات الحابكة لها من جهة ثانية، لأننا لو أبقينا هذه العلاقات داخل حدود الآيات أو السور :

١ــ لظلّ الأمر ضيقاً، كما هو في نحو الجملة .

٢ــ لأضحت كل سورة ماسكة بزمام نفسها معزولة عن غيرها من السور اللاحقة والسابقة، ولظهرت لنا وحدة النص القرآني من ناحية ثانية .

وبناء على ذلك، فإن رؤيته في بيان تماسك أجزاء السورة الواحدة تناقض ما حاول بيانه في موضع آخر من الكتاب، وهو بيان علاقة السورة بما قبلها وبما لحقها، وهو أمر يقع في مستويين :

الأول : التتابعات الجملية (بنية السطح) .

الثاني : التتابعات البادية على السطح (بنية العمق)، وهذان العنصران هما المتعلقان بالنص المكتوب[٣٦] .

غير أننا يمكن أن ننظر إلى هذه الاستعمالات الفعلية من وجهة نظر تحليلية، باعتبار سياقاتها غير اللغوية، فالأمر لا يتعلق بتفصيل عادي، وإنما يتعلق بالخالق وبالذات العلية، ولما كان الأمر على هذه الشاكلة، صدّرت الآية التفصيلية بالفعل الخاص به سبحانه

---

[٣٦] ينظر حول ذلك ما أورده أهل الاختصاص من علماء النص :

R . de Beaugrand , W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S . ٨ .

د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في علم النص ص ١٦٩ .

والعناصر الأساسية المكونة لنظرية النص ص ٢٨، ٢٩ .

(تــبارك)، أو هو فعل خاص بالذات العلية، ونلاحظ أنه لم يرد في النص القرآني إلا معه ســبحانه، وبالتالي فإن له استعمالاً خاصاً يتسق مع خصوصية المحال إليه (الله)، وهكذا نخلص إلى أن استعماله ذات خصوصية، كما نلاحظ أنه يأتي في إطار نوعين من التراكيب الرابطة :

الأول : تمثل السمة الفعلية له، من حيث استعماله مع (جملة الصلة) .

الثانــي : يأتــي دون جملة الصلة، ويترتب على ذلك إنتاج دلالة متمايزة إلى حد ما، وهي الأقل وروداً .

وعلــى الرغم من كون النوعين مختلفين بشكل عام، إلا أن السمة النهائية لوظيفة الفعــل تظــل ماثلة على الرغم من السياقات المختلفة، وهكذا يتبوأ الفعل (تبارك) في كلتا الحالتيــن مكانة : التعظيم والتفخيم للذات العلية، ورغم ذلك تظل ثمة فروق واضحة، أبرز جوانبها فيما يلي من تحليل :

فــإذا كانت السمة الأساسية مع الفعل (تبارك) أن يأتي مع صفات الحق سبحانه، وعلى الرغم من ذلك، فإن ملاحظة المواضع التي وردت فيها الآيات، يمكن أن نصنفها من حيث بناء الأفعال الإنجازية إلى ما يلي :

١ــ جملة الصلة في بداية الآية الفعل (تبارك) يأتي بدون جملة الصلة :

الأعراف/٥٤، غافر/٦٤.

٢ــ يأتي الفعل (تبارك) بدون صلة الموصول :

المؤمنون /١٤، الرحمن/ ٧٨ .

٣ــ يأتي قبل الفعل (تبارك) صلة الموصول :

الفرقان/ ١، ١٠، ٦١، غافر/٦٤، الزخرف/٨٥، الملك/١ .

ومــن هــنا، فــإن ثمة ملاحظة تختص بإحالة جملة الصلة بما هو وارد في آيات الفرقان /١، ١٠، ٦١، إذ يمثل ورود الفعل في بداية السورة/١ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَــى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ سمة بارزة، قال العُكبري : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ﴾ (الذي له)، يجوز أن يكون بدلاً من (الذي) الأولى، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، أو يكون في موضع نصب على تقدير أعني[٣٧] .

وأبدي عدداً من الملحوظات فيما يتعلق برؤية العُكبري، وهي رؤية أرحب، وتوحي ضمنياً بتماسك نصي، يتجاوز حدود الآية لدى النحاة، وأشير إليها :

١ـ أن (الذي له .....) تعد بدلاً من (الذي) الواردة في الآية الأولى .

٢ـ أن تكون في موضع نصب على تقدير أعني .

٣ـ أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف . هذا هو موجز قول العُكبري، وأفصل فيه القول بفضل بيان كالتالي، إن اعتبار (الذي له) بدلاً أو في موضع نصب، على تقدير : أعني، إنما يشير بشكل ضمني إلى أن :

١ـ التماسك النحوي يتجاوز حدود الآية، وبالتالي فالإحالة أو التماسك يتعدى حدود رؤية نحو الجملة .

٢ـ أن اعتبار(الذي له) منصوبة، على تقدير أعني، تقدر بناء على هذا التقدير جملة تفسيرية أو بتعبير دقيق تفسيرية معجمية، وذلك واضح من تقدير العُكبري بفعل محذوف تقديره : أعني، وبالتالي فهي جملة تفسيرية، غير أنها تعد هنا إضافة عناصر تفسيرية أكثر زيادة على ما ورد مع (الذي أنزل....)، وليست بدلاً منها بشكل دقيق، وبالتالي أرجح كونها منصوبة أو بدلاً .

وبعد سرد الأحداث، وبالتحديد في الآية/١٠، يتكرر الفعل (تبارك) بما يحدث تكراراً في المرة الثانية، يربط الثاني (١٠) بما ورد في الأولى (١)، وبعد مساحة مكانية على سطح القرطاس من آيات السورة، آية (٦١)، نجد الفعل يتكرر مرة ثالثة تذكيراً بقدرة الله وتنزيهاً مرة تلو الأخرى، وفي إعادة اللفظ، إحالية فعلية (جملة فعلية) ومذكورة قبلاً ومباشرة، على أساس أنه معروف للمتلقي، ويستطيع أن يحيل إليه بشكل مباشر .

وإذا كان الفعل (تبارك) يعمل على تماسك النص من خلال الإحالة اللفظية، فإن هذه تمثل مركز الدائرة؛ بمعنى أن الإحالة تأتي داخل حدود السورة الواحدة . وإذا قمنا بتوسيع الدائرة قليلاً داخل السورة، فإن مركز الدائرة يتسع ليشمل تسعة أجزاء؛ بمعنى أن

---

[٣٧] العُكبري : التبيان ٢/ ٢١٠ .

كل فعل (تبارك) يقع في جزء لا يقع فيه الفعل الآخر، وهنا يبدو إحكام التوزيع التكراري من ناحية :

١ــ أن كل سورة تمثل جزءاً لا يقع فيه غيرها .

٢ــ أن الــتوزيع المتباعد للفعل (تبارك) في الأجزاء المختلفة، إنما يشير بوضوح إلى أنه على الرغم من هذه المباعدة الإحالية التكرارية، فإنه يدل من جهة أخرى على التذكير بنعم الله وقدرته، وهي لا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ النحل/١٨ .

٣ــ أن هــذا التوزيع للفعل (تبارك) يجعل كل موضع من هذه المواضع يرتبط عن طريق الإحالــة التكرارية، بالأفعال الأخرى الواردة في مواضع منتشرة من النص، ويشير التكرار إلى التماسك النحوي الذي يقوم به الفعل (تبارك) في جميع المواطن التي يرد فيها . وهكذا تتسع الدائرة من مركزها من سورة الفرقان لتشمل تسعة أجزاء، بدلاً من جزء واحد (١٩) لســورة الفرقان ، ولم يتكرر الفعل (تبارك) إلا في سورة الفرقان ثلاث مرات، ومن هنا اعتــبرتها مركــز الدائــرة، بيد أن عنصراً آخر، يلفت النظر في الأجزاء الوارد فيها الفعل (تبارك) على النحو التالي :

م	المرة	اسم السورة	الجزء
١	الأولى	الأعراف/٥٤	٩
٢	الأخيرة	الملك/١	٢٩
٣	الثانية	المؤمنون/١٤	١٧
٤	قبل الأخير	الرحمن/٧٨	٢٧

ــ وفي الجزء الرابع والعشرين :

الفــرقان /١، ١٠، ٦١، يلاحظ العدد (٢٤)، هو رقم الجزء أن الفعل (تبارك) لم يرد في الأجزاء الأربعة قبله، وهو رقم مقسوم على :

$$\frac{٦ X ٤}{٤} = ٢٤$$

ــ في الجزء الخامس والعشرين :

الزخرف (٨٥)، وأن الأجزاء الباقية (٥) خمسة أجزاء، وهو متوسط رقم(٢)، ٥x ٥ = ٢٥ .

٣/٢ : وظائف جملة صلة " التي" ودورها في تماسك بنية النص :

تعد (التي) من الأسماء الموصولة الأقل ورودا في النص القرآني، مقارنة بالذين والذي، إذ ورد لها (٥٦) نمطا، ونلاحظ علي هذه المواضع أدناه أنها تليها الصيغ التركيبية التالية :

١ـ فعل ماض : مبني للمجهول .

: مبني للمعلوم .

٢ـ فعل مضارع .

٣ـ ضمير(هو ، أنتم) + خبر .

٤ـ جار ومجرور .

ويعد (١،٢) السمة الجوهرية الأكثر انتشاراً في القرآن، وتكررت (٣) مرات، مناصفة بين الضمير (هو) و(أنتم) فيما جاء الجار والمجرور مرة واحدة، وبالتالي تمثل السمة (١ ،٢) ورداً أكثر .

غير أننا نلاحظ أن (التي) حينما وردت في النص القرآني داخل إطار الآية، وهنا نشير إلي أنها كانت ترد في بداية الآية (الهمزة/ ٧ ، الفجر /٨) تكون إحالتها معجمية (تفسيرية)، أي تفسير لارم ذات العماد في سورة الفجر، وتوضح لنا كلمة (الموقدة) الهمزة /٦، وبالتالي تمثل هذه سمة جوهرية تتعلق بـ(التي) في النص القرآني .

بيد أننا نجد في الرحمن/٤، ٣ ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أنها تفسيريه وإحالة معجمية، وبالتالي تمثل هذه سمة مشتركة ومفارقة في آن واحد، وهذه السمة ليست مستعملة في الرحمن/٣ ، ٤ وحدها، وإنما مستخدمة أيضاً في البقرة/٢٤، ومن ثم يمكن أن نخلص إلى أن قاعدة النص الخاصة بـ (التي) في القرآن علي النحو التالي :

١ـ إذا كانت في بداية الجملة تكون لها وظيفتان علي النحو التالي :

أـ تحيل إلي ما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، ومن هنا تكون الإحالة إلي متقدم خارج نطاق الآية .

ب ـ هـذه الإحالـة المـتقدمة، إنمـا هي تفسير معجمي لما هو وارد في الآية السـابقة، وبالتالـي تكـون الفائدة مزدوجة، فائدة الربط بين جملتين أو أكثر من ناحية، والتفسير من ناحية ثانية .

٢ـ تكـون توضيحية / تفسيرية لما هو وارد قبلها، ويكون هذا داخل حدود الآية، وتكون (التـي) داخـل الجملة . وتمثل هذه الوظيفة السمة الأكثر وروداً في النص القرآني، وعلي هـذا الأسـاس يمكن اعتبارها الوظيفة التي تمثل قاعدة النص الأساسية في القرآن . ومن هـنا نخلـص إلي أن ورودها داخل الآية وفير، وأنها تؤدي في كلتا الحالتين إلي التفسير/ التوضيح، إلا أنها في بداية الجملة تزيد وظيفة أخري (الربط) .

علـي أية حال، فإنها داخل الآية، إنما تؤدي وظيفة الربط أيضا بجانب التوضيح، إلا أنهـا فـي بداية الآية يمكن اعتبارها تربط بين آيتين أو أكثر، في حين أنها داخل الآية تربط، إلا أن ربطها أضيق، وبالتالي يمكن اعتبارها في كلتا الحالتين تؤدي الوظيفتين معاً، بيد أنها داخل الآية تكون وظيفتها :

١ـ أضيق .

٢ـ داخل حدود الجملة .

وفي بداية الآية تكون :

١ـ أوسع .

٢ـ خارج حدود الآية الواحدة، وهذه هي المفارقة الجوهرية التي نتجت عن تفسير موقف في النص القرآني، أما باقي النماذج، فإنه لا خلاف حول عملها بشكل إجمالي .

٣ـ ويمكـن أن تحيل (التي) إلي لاحق داخل الآية، وتكون تفسيرية، يوسف/٢٣ فـ" الذي هو في بيته " يحيل إلي لاحق :

ـ داخل نطاق الآية .

ـ داخل نطاق الآيات التالية مباشرة .

ـ داخل نطاق السورة .

وتجـدر الإشـارة إلي أن (التي) تفارق (الذين) و (الذي) و(من) و(ما) في القرآن الكريم من حيث عدد من الموائز، نوجز مجملها في العناصر الآتية :

١ـ أن عددها مقارنة بما سبق ذكره لا يقارن، إذ جاءت أعدادها قليلة .

٢ـ أن عملهـا يأتي داخل إطار الآية الواحدة، بخلاف ما جاءت الإشارة إليه، وتمثل سمة جوهرية للاسم الموصول (التي) في القرآن .

٣ـ علـي الرغم من السمة الأساسية المذكورة في (٢)، إلا أنها شذت في موضوعين في القـرآن (الفجـر/٧، ٨ والهمـزة /٦، ٧) حيث جاءت تفسيرية في بداية الآية الكريمة، وهـذان النمطان، وإن لم يمثلا سمة فعلية لها، إلا أنه يرقي بها إلي أن تطاول " الذين" من جهة و(الذي) من جهة ثانية، باعتبارها اسما موصولا.

٤ـ علي الرغم من مجيء (التي) داخل الجملة، وهو ما يجعلها تعمل في حدود أضيق مما سـبق بـيانه، وهي في هذا الصفة المائزة تفرق عن كل من (الذين) و(الذي) و(من)، كما سيرد بيانه .

إلا أنـنا ينبغـي أن نشير إلي أنها في كل السياقات القرآنية التي وردت فيها، إنما تعمـل مـن خـلال شبكة أكبر منها، وهي تفصيل أو توضيح لما هو وارد قبلها أو بعدها، وبالتالـي تتعدد السياقات المختلفة التي تكتسب وظيفتها من خلالها، وبالتالي فإن سياقاتها قد تكون :

ـ وصفا .

ـ إحالة معجمية (مع الذين) .

ـ مقارنة مع (الذين) باستخدام (إمّا) أو بدونها .

ـ وترتبط جملة الموصول (التي) بما يسبقها ويلحقها إما :

ـ بالضمائر.

ـ التفسير .

ـ المقارنة .

ـ الأدوات العاطفة .

وعلـي الـرغم من ذلك، إلا أنها في عملها الحقيقي لا تتجاوز حدود الآية، وهي وظـيفة التفسـير والإحالة المعجمية الوصف داخل الآية، وهي الوظيفة الأساسية بالنسبة (للذين) و (الذي)، وعلي الرغم من الوظائف الرابطة الأخرى التي استخلصناها، بناء علي السياقات المتنوعة، إلا أن ورود هذه السمة لدي (التي)، يدعم اعتبارنا الإحالة المعجمية /

التفسيرية عامة والوصفية / التفصيلية خاصة الوظيفة الأساسية لهذه الضمائر فيما يتعلق بالنص القرآني .

ومـــن جهة أخري، فإنها قد اشتركت مع (الذين والذي) في ورود (التي) في بداية الآيـــة، بمـــا يشـــكل منها في عاقبة الأمر الملامح الجوهرية المائزة التي تجعل منـها اسما موصولا متميزا بشكل أو بآخر عن الأسماء الموصولة الأخرى .

إلا أن الوظـــيفة مـــع " الفجـــر" و " الهُمَـــزة " تظل تجعل منها سمة تتجاوز في حدودهـــا إطار الآية، وهكذا يتحقق الربط بين أكثر من آية، بيد أن الأمر في الواقع الفعلي يـــتجاوز حدود الآية ـــ كما ذكرت ـــ خاصة إذا كانت (التي) عضواً في بنية كلية كبرى لا تكتســـب ميزتها الحقيقة إلا في إطار القصة (أكثر من آية أو عدد من الآيات)، وهكذا تمثل (التي) في كل المواضع التي وردت فيها :

ـــ عنصر ربط (داخل حدود الآية) .

ـــ هـــذا الربط الداخلي / الضيق، يعمل في سلسلة من العلاقات، تمتد فتشمل أوسع من ذلك بكثير .

ـــ شبكة من العلاقات التي تتجاوز الآية، كما أشرت إليه، وأنها تأتي في بداية الآية، ويدل هـــذا إن دل علي أنها داخل حدود الآية وخارجها، الأمر سواء بسواء، فيما يتعلق باختلاف السياقات المتنوعة .

٥ـــ تتفق في بعض الجوانب مع (الذين والذي وغيرهما) في أنها تحيل إلي سابق، غير أن إحالتها تظل إلي :

أ ـــ سابق (داخل حدود الآية) وتمثل السمة الفعلية لها .

ب ـــ سابق (خارج حدود الآية) وتمثل السمة الأقل وروداً .

ج ـــ ونستخلص من (١، ٢) أن ربطها أضيق (داخل حدود الآية الواحدة)، إلا في بعض المواضع اليسيرة، وبالتالي فإن ورودها ضمن شبكة أكبر تجعل جملة (التي) وصلتها مـــا بيـــن قوسين، أو جملة تفسيرية، وتمثل هذه الوظيفة الأساسية لها، وتعد إحالة (التي) إحالة مباشرة، خاصة أنها تعمل في نطاق .

٣/ ٤ : وظائف جملة صلة (من) ودورها في تماسك النص :

١ـ استعمال "من" و" ما " بمعني " الذي" في آية واحدة، ثم يأتي الوصف، وفي الآية ذاتها تأتي باستعمال (أولئك)، آل عمران/١٩٩ .

٢ـ تأتي " من " الموصولة حاملة معني الشرط، وبالتالي فإنها تشمل علي :

أ ـ الجملة الأولي : جملة الشرط وتضم (من) الحاملة للشرط .

ب ـ الجملة الثانية : جواب الشرط وهي تبدأ بالفاء ، وتكون الجملة الثانية (تشتمل) لما هو وارد في الجملة الأولي .

ونشير إلى ملاحظة وثيقة الصلة بما نحن فيه، أن " من " الشرطية تشترك مع " الذين" في أنهما يأتي خلفه وصف ونتيجة، إلا أن النتيجة مع " الذين" تأتي باستخدام " أولئك"، في حين تأتي النتيجة مع جواب الشرط حاملة المعنى ذاته، مع اختلاف التراكيب واتحاد المعني . وتجدر الإشارة أن هذا الاستنتاج السابق للمقارنة بين جملة صلة (الذين) و(من) في حالة كونها أداة شرط، إلا أنها تحمل معني الاسم الموصول، وأحسب أن حملها سمات الشرط، إنما هو نتيجة أو لتتقبل معني الجزاء الموجود مع جملة (الذين)، ومن هنا يشتركان ربما لأنهما جملتا الموصول في هذه الصفة، إلا أن جوانب المفارقة تظل ماثلة ومرجعها أن جملة (من) التي فيها معني النتيجة ليست أخيرة، وإنما هي مرهونة بما هو قائم في جملة الشرط الأولي، خلافا لما هو وارد مع (الذين)، فالنتيجة معها نهائية، كما تدل علي ذلك المواضع الواردة معها .

بيد أن جملة الصلة مع (من) التي تحمل معني (الذي) وليست بجملة شرط، تأتي فيها النتيجة بشكل آخر مختلف، وهو أن تكون النتيجة علي شكل التركيب الآتي :
ضمير + لا + فعل + فاعل :

وهم لا يظلـمون

وهناك من الآيات التي ترد فيها (من) الشرطية وتكون بحاجة إلى جواب الشرط مصحوبا (بأولئك) دليلاً علي أن جواب الشرط، إنما هو نتيجة ومترتب علي جملة الشرط ودليل أيضا علي أن جملة جواب الشرط مع (من) تتقارب إلى حد بعيد في الصيغة الدلالية مع تلك التي تتصف بها جملة (الذين) في مواضع عدة لا يكتفي بجملة أولئك نتيجة لفعل الشرط، ثم تأتي " أولئك " كنتيجة لجملة الشرط وجوابها الجملة المعلقة، وبالتالي فإن (أولئك) هنا مرة أخري جملة الشرط لها حالتان :

الأولي : تأتى كنتيجة وتحققها يعتمد علي تحقق فعل الشرط .

الثانية : تأتى كنتيجة للجملة المعلقة، وهي جملة الشرط والجواب علي السواء، وبالتالي يمثل عملها مقارنة بينها وبين (أولئك) مع (الذين)، غير أنها في كلتا الحالتين تقدم تفسيرا أو بتعبير آخر، إنما هي جملة تفصيلية لما هو وارد قبلها دائماً، ونشير أنه إذا كانت جملة الجواب مع (أولئك) أو نتيجة للجملة المعلقة، فإنها في كل تقدم توضيحاً، إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن التفسير مع أولئك الواقعة جوابا للشرط التفسير فيها أضيق أو أن تفسيرها محدد، مقارنة بما هو وارد مع أولئك التفسيرية للجملة المعلقة، فإذا كانت (أولئك) تقدم تفسيرا لجملة الشرط المحدودة الدلالة، فإنها مع (أولئك) جملة الشرط تقدم تفسيرا للجملة الشرط، وربما بما هو أكثر علي أساس أن جملة الشرط قد تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى قبلها، وبالتالي تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى، وقد تدل علي ذلك بالمقابلة بين المعنيين باستخدام جملة الصلة الأخرى، وقد تدل علي ذلك بالمقابلة بين المعنيين باستخدام جملة الصلة .

وتشير الملاحظات الأولية إلى أن (من) لها سمات أساسية فاعلة، وتتبدى هذه الملاحظات بوضوح حين نرى وظائفها تقع علي مستويات عدة ومختلفة، وهكذا نرى أن إحالتها تقع داخل الجملة وفي مواضع أخرى تكون عنصر مقابلة (مقارنة) بين أكثر من آية أو داخل الآية أو تكون تفصيلية ... الخ .

علي أية حال، فان هذه الملامح الجوهرية المكونة لبنية وظائف (من) في القرآن نشير إليها فيما يلي بفضل بيان، وألمح مرة أخرى أن الأنماط الواردة في هذا البحث ليست كلها، وإنما أكتفي بما يمثل تصورا عاماً، دون عرض كل الأنماط، بما يؤدي إلى الإحالة بما لا داعي له، وهكذا يقتصر البحث علي العناصر الأساسية المكونة لبنية وظيفة (من) وأعرض لها في المطلب التالي :

٤/١ : المقارنة /المقابلة تتعدى حدود الآية الواحدة :

ـ المقابلة بين (من) و (من) :

وتعــد هــذه الوظــيفة ملمحاً مهماً من ملامح تميز الأدوات الموصولة المعالجة، وكذلــك (مــن) حيــث تظهــر الأنمــاط المستخلصة [٣٨]، أنها تتبوأ مكانة مرموقة من بين الوظــائف التي تؤدي بها، ولعل تجاوز حدود الآية إلى أكثر من ذلك، إنما هو تجاوز حدود الــرؤية المستقاة، وما بنا أن نتتبع ذلك، ففي تحليل الآيات ما هو أنجع وأوفق، قال تعالي ﴿ وَمَــن يَعْمَــلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ النساء / ١٢ : ١٩، ونلاحظ على هذه الآيات من خلال اسم الموصول (من) ما يلي :

١ــ أنهــا تقــع داخل شبكة من العلاقات الأربع، أي اعتبارها (جملة الموصول) جزءا في دائرة المربع، وهكذا نلاحظ :

ــ عطفها علي ما قبلها آية/ ١٠٩ .

ــ عطفها علي ما بعدها آية/ ١١٢ .

ــ تكــرار الاسم الموصول (من) مع الفعل (من يكسب) مرتين، والتكرار الضمني مع (من يعمل) علي اعتبار أنها على وزن : من يفعل مثلا .

ــ تكرار أداة العطف الوحيدة (الواو) ولم تشاركها أي أداة أخرى .

ــ تعد هذه الآيات (١٠٩ : ١١٢) فيما بينها تفصيلا لما هو وارد فيما بينها .

ــ تعد مع ما يليها عناصر مقابلة، ويعد هذا العنصر عنصرا مفهوميا .

ــ وإذا كانــت هــذه الملحوظات من خلال شبكة أضيق، فإنها تعمل في محيط أوسع داخل إطار السورة سواء أكانت إلى :

ــ سابق / متقدم .

ــ لاحق/ متاخر .

ويمكــن توسيع دائرة الربط، فتشمل النص القرآني كله، أي بتوسيع دائرة البحث في إطار حدود السورة، وهذه الإحالات علي اختلافها تعمل من خلال :

ــ إحالة لفظية (اسمية أو فعلية) .

---

٣٨ أشــير مــن خلال تتبع الأنماط العامة، إذ البحث مَعنيّ في الأساس باستخلاص الأحكام العامة لهذه الوظائف، وليس مشغولا بالإحصاء، ولعل في هذه النظرة ما يفي بالغرض .

ـ إحالة ضمنية (اسمية أو فعلية) .

علـــي أننـــي ينبغـــي أن نبيـــن أن هذه المقارنة التي تتجاوز حدود الآية، وليس بالضـــرورة أن يكـــون بيـــن (من) و(من) لأن هذه تمثل السمة الجوهرية في المقارنة في القـــرآن بشكل عام، إذ قد تأتى مع (الذين) مثلا أو أي اسم موصول آخر، ففي قوله تعالي ﴿ وَلأُضِـــلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَـــنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً * أُوْلَـــئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَـــنْهَا مَحِيصاً * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾ النساء/ ١١٩: ١٢٢ .

ونلاحـــظ أننـــي اقتطعـــت هذه الآيات من سياقها العام، وبالتحديد من بداية الآية/ ١١٦ ﴿ إِنَّ اللّـــهَ لاَ يَغْفِـــرُ أَن يُشْـــرَكَ بِـــهِ وَيَغْفِـــرُ مَـــا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ... ﴾ ١٢٧، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء ...﴾، وبالتالي فان جملة الصلة تمثل :

ـ عنصـــراً مهماً ضمن إطار أكبر، وهو وحدة الموضوع الداخلي، وتعمل هذه العلاقات من خلال :

ـ الإحالة بالضمائر التي تتجاوز حدود الآية .

ـ الإحالة بالضمائر المختلفة داخل أسوار الآية .

ـ الربط بأداة العطف (الواو) في بداية الآيات وداخلها .

ـ الربط بأداة العطف (ثم) داخل الآيات .

ـ ينبغـــي أن نوضـــح أن (من) في مثل هذه المواضع المختلفة لا تعمل منفردة، وإنما مع أدوات متساوقة من حروف العطف، هذا من ناحية، وهناك من العناصر الموصولة الأخرى مثل : الذين، الذي، ما .... الخ، بجانب الأسماء والأفعال من ناحية أخرى .

ففـــي المؤمنين/ ١٠٢ : ١٠٥ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّـــتْ مَوَازِيـــنُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾، ينبغي أن نشير إلى عدد من الملاحظ نوجزها علي النحو التالي :

١ـ المقابلة/ المقارنة بين : من ثقلت موازينه، ومن خفت .. وهما عنصران متقابلان .

٢ــ تأتــي النتــيجة مــع كل منها باستخدام : فأولئك هم المفلحون، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خامدون .

٣ــ وتأتــي الآيــات التالــيات مفسرة (ابتداء من ١٠٤ : ١١٨) بما هو في الآية /١٠٣ وترتبط به من خلال عدد من الجسور :

ــ الضمائر المحيلة في الآيات التاليات (١١٠: ١١٨) وكلها تحيل إلى (١٠٣)، وهكذا تعد هــذه الآيــة المحور الأساسي التي تدور حوله هذه الآيات، وبالتالي تمثل هذه الضمائر في هذه الآيات عناصر ترتبط جميعها بالأساس (١٠٣) : (من) .

٤ــ نلاحــظ أن الآيات التاليات لوصف (﴿مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه﴾ استغرقت أكثر من /١٥ آية فــي مقابل آية واحدة ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ترغيبا في الجنة وترهيبا من النار: تلفح وجوههم النار وهم فيه ...) وتمثل الآيات / ١٢٣ : ١٣٥ من سورة طه نموذجا مشابها لما هو وارد في سورة المؤمنين .

ونــأخذ نموذجيــن آخرين كدليل علي الترابط النصي القائم بينه من ناحية والسور الأخــرى من ناحية ثانية، وذلك من خلال سورتي الليل والقارعة، أما نموذج القارعة، فان وظيفة (من) تدل علي المقابلة / المقارنة، ونؤكد هذه الاستخلاص من خلال :

ــ (أمَّا) الدالة علي التفصيل والمقارنة والوصف .

ــ أن ثمــة مقابلــة بيــن فريقين مختلفين : من أعطى، ومن بخل، هذا من ناحية، وهذه المقابلة تقدم تماسكا دلالياً بين المعنيين، وبالتحديد بداية الآية /٥ : ١٢، وترتبط الآية /١٣ بما هو وارد في هذه الآيات، ذلك أن الآخرة والأولى هنا ليس المقصود بها الدنيا والآخرة المعــروفة، وإنما لها معني آخر، أن الأولى من أعطى واتقي وصدق بالحسنى، أما الآخرة مــن بخــل واســتغني وكــذب بالحسنى[٣٩] من ناحية أخرى، وبالتالي فنحن الذين نستطيع التيســير ونســتطيع التعســير، وأن كليهما (الميسر والمعسر) راجع إلينا، ومن هنا، فإن العلاقة القائمة لا ريب فيها، ثم تأتي الآية /١٤ مرتبطة بما قبلها بــ :

ــ الفــاء الــرابطة، وأرى أنها تحيل إلى (من بخل واستغني)، وبالتالي فان الإحالة إلى ســابق ليس مباشراً، إذ يفصل بينها بأكثر من آية، والآية /١٥ ترتبط بما قبلها عن طريق الإحالــة بالضمير(ها) وترتبط الآية /١٦ بما قبلها في أنها تمثل إحالة معجمية (تفسيرية)

---

٣٩ د. تمام حسان نحو الجملة ونحو النص ص ١١ .

للأشـــقى، ثـــم تـــأتى الآية/ ١٧ ، ١٨ كمقابل للآيتين/١٥،١٦ مع الربط (بالواو) الرابطة، والمقابلـــة بينها من ناحية أخرى، وتعد الآية /١٨ تفسيرا معجميا للأتقى في (١٧)، ولعل هذا يمثل الربط العام داخل البنية اللغوية للسورة .

أمـــا الترابط القائم بين البنية اللغوية لهذه السورة والسور القرآنية الأخرى، فقائم علـــي علاقة المشاكلة من ناحية، وعلاقة الإحالة اللفظية من ناحية ثانية وعلاقة التضمين (الترادف) من ناحية ثالثة.... الخ هذه العلاقات الجامعة بينهما .

أمـــا النموذج الثاني، فيتجاوز الآية الواحدة، فهو من سورة القارعة، أحاول أن أبين بشكل موجز علاقة الارتباط بين الآيات بعضها ببعض داخل السورة علي النحو التالي :

درج " نحـــو الجملـــة " علـــي إعـــراب القارعة مبتدأ . وما القارعة، ما نكرة تعرب مبتدأ والقارعة (الثانية) خبر، والمبتدأ الثاني والخبر في محل رفع خبر للمبتدأ الأول، هذا موجز رؤيتهم :

إلا أنـــنا يمكن أن نجد لها تصورا آخر يتسق مع الآيات التاليات، فإذا أمكن لنا أن نعـــرب (القارعة) خبراً، فإن المبتدأ هنا محذوف تقديره هي، وبالتالي فإن الآية الثانية : ما القارعـــة ليست مبتدأ وخبرا (وكليهما ليس خبر للمبتدأ الأول (القارعة)، وإنما تعرب في هذه الحالة علي النحو التالي :

مـــا : التعجبية نكره بمعني شئ مبتدأ، وفعل التعجب محذوف تقديره : أعظم وهنا تكـــون القارعـــة مفعـــول به لفعل التعجب أعظم، وهنا تكون بنية الآية كالتالي : ما أعظم القارعـــة، وقـــد استدل د. تمام حسان علي تدعيم هذه الرؤية بحديث زوج أبى زرع، حين قالـــت تتعجـــب مـــن حسن معاملته لها : أبو زرع، ما أبو زرع، علي تقدير: أبو زرع، ما أعظم أبا زرع، علي تقدير فعل محذوف تقديره : ما أعظم أبا زرع، وهذا هو الدليل الأول. أمـــا الدلـــيل الثاني مضمون نص الآية : وما أدراك ما القارعة، إذا لو كانت القارعة . ما القارعـــة، كمـــا ذهـــب النحاة، لما كان هناك داع من إيراد : وما أدراك ما القارعة، وكان الأجدر أن تأتي الإجابة علي ذلك، كما حدث في سورة طه/٨٣ ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ فهـــي هنا علي رواية حفص تعجبية، بيد أننا يمكن أن نتصور لها إعرابا آخر: (مـــا) مبتدأ نكره أعجلك خبر للمبتدأ النكرة و (أعجل) مضاف والكاف ضمير من في محل جر مضاف إليه .

بيد أن التفسير الثاني، يتسق مع الآية الواردة بعدها، فلما كانت سؤالاً : ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ جاءت، الآية /٥٣ إجابة علي السؤال المطروح ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَـرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ولو كانت تعجبية، لما كان هناك داع من إيراد الإجابة في الآية التالية، وهذا ما لم نره في آية القارعة /٢ علي اعتبار أنها سؤال ؛ لأن الآية /٣ ليست جواباً ، وإنما تهويل لما هو قبلها، ومن ثم تدعم جعلها تعجباً أقرب إلى المعني الذي يتسق مع الآيات "[٤٠] .

وإن كـان لي من قول، فإنني أذكر أن بعد جملة التعجب مثل ما هو وارد في (وَمَا أَدْرَاكَ مَـا الْقَارِعَةُ ١:٣ (في الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ. الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) و(أَصْحَابُ الشِّـمَالِ مَـا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) (أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) الواقعة /٢٧، نلاحظ أن مثل هذه المواضع، لو كانت استفهامية، لكان يجب أن ترد الإجابة، إلا أن ترجيح اعتبارها تعجبسية، لكن في ذكره : أصحاب الشمال، ثم يأتي بعدها : ما أصحاب الشمال، تعجب علي تقديـر فعـل محذوف : ما أصعب / أحقر أصحاب الشمال، وكذلك الحال مع : ما أصحاب اليميـن، ويؤكـد أنها للتعجب الوصف التالي لمثل هذه المواضع ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَـا أَصْـحَابُ الْمَيْمَـنَةِ* وَأَصْـحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الواقعة/ ٨، ٩، قال الفراء تعلـيقاً على الآية الكريمة : عجّب نبيّه منهم، فقال : ما أصحاب الميمنة؟ أي شيء منهم؟ وهـم أصـحاب اليميـن (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) عجبّه ايضا منهم، وهم أصـحاب الشـمال ... "[٤١]، ويتصل بهذا الموضوع ما هو وارد في (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ) حيث قـال : والحاقـة : مرفوعة بما تعجبت منه من ذكرها، كقولك : الحاقة ما هي؟ والثانية : راجعـة على الأولى . وكذلك قولـه (أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) و (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ) معناه : أي شيء القارعة؟ فما في موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى مرفوعة بجملتها ... "[٤٢] .

وبالتالـي فإن د.تمام استوحى أفكاره منه، وإن طور فيها، وربما يكون اعتمد في تحليله على رؤية بعض المفسرين، ولم يشر ليها من قريب أو بعيد، إلا أن الذي بقي ماثلا أنه استوحى أفكاره من كتب التفسير بشكل عام، وكتاب الفراء بشكل خاص فيما أعلم .

---

٤٠ ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١٠ .

٤١ الفراء : معاني القرآن ٣/ ١٢٢ .

٤٢ السابق : ٢/ ١٨٠ .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ... ﴾ الواقعة / ٢٧: ٣٣ .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ .....﴾ الواقعة /٤١: ٤٦،﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ الحاقة/١: ٤ .

وبالتالي فإن الوصف يأتي عقب هذه الآيات مباشرة، وليس إجابة علي اعتبار أنها سؤال، ويتناسب / ينسجم مع التهويل أو التعظيم من شأن ما هو مورد سواء أكان خاصا بأهل الجنة أم بأهل النار.... الخ .

ويستمر الوصف في القارعة في /٤ ، ٥ ، ويعد علاقة رابطة، وما هو وارد قبلها في ﴿مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾/٢ ،٣ وتكون الآيتان /٤،٥ وصفا لهما، وتأتي الآيات /٦ : ١١ لتؤدي أكثر من وظيفة نصية في النص نظهرها كما يلي :

١ـ ترتبط هذه الآيات بما قبلها في أنها تفصيل ليوم القارعة والحاقة، وهما أسماء ليوم القيامة .

٢ـ تؤكد ما هو وارد في (١) بأنها تفصيل، وذلك من خلال :

ـ أما الدالة علي التفصيل .

ـ المقابلة بين من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ، وتمثل الآيات ٦ : ٩ آيات للمقارنة من جهة، ومن جهة أخري، تمثل مقارنة، ثم تعد الآيات ١١،١٠ تفصيلاً للآيتين /٨،٩ وذلك من خلال تهويل للنار وما فيها من أصناف العذاب باستخدام فعل التعجب : وما أدراك ما هي، وتأتي الآية /١١ لتؤكد جملة التعجب بأنها : نار حامية، وهكذا ارتبطت الآيتان / ١٠ ، ١١ بالآيتين السابقتين قبلهما مباشرة .

هذا الربط علي مستوي السورة يمثل ربطاً مفهومياً، بجانب عدد من الروابط الماثلة في البنية اللغوية باستخدام أدوات العطف، مثل الواو الواردة (٤) مرات في مقابل (الفاء) المستعملة (٣)، وعلي هاتين الأداتين تقوم الروابط اللغوية، بجانب الضمائر الأخرى الكائنة في نص السورة، هذا علي مستوي السورة، وهناك ربط آخر علي مستوي النص القرآني يتمثل في :

ـ أن القارعــة باعتبارها اسماً ليوم القيامة، تحيل إلى المواضع الأخرى من أسماء يوم القيامة في النص القرآني، وهذا هي الإحالة الترادفية .

ـ كمــا تحــيل المواضـــع الخاصـــة بمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه إلى المواضع الأخــرى المتعلقة بالثواب والعقاب في النص القرآني، وهي إحالة مثل النوع الوارد أعلاه، علــي أننا نوضح أن الإحالتين المذكورتين هنا، إنما هما إحالة خارج حدود السورة، وهي إحالة إلى :

ـ متقدم خارج إطار السورة .

ـ متأخر خارج إطار السورة .

وتعمــل هاتــان الإحالتان من خلال الروابط المشار إليها عاليه علي تماسك البنية اللغويــة الماثلة علي سطح الورق، ومن ناحية أخرى تعمل علي ترابط العناصر المفهومية لهذه البنية اللغوية وتكامل معانيها .

ـ مقارنة/ مقابلة داخل الآية لــ (من)* :

تــدل علــي الربط والمقابلة بين أكثر من آية، حسب السياق أو داخل حدود الآية، وهــو ربــط / أضيق مقارنة بما قبلها، ففي المائدة / ١٨﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْــنَاء اللّــهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ والمقارنة واضحة بين العــذاب والمغفــرة، باستخدام (من) ، ومثلها الآية /٤٠ من ذات السورة، والآيات التاليات تدل علي ذلك بشكل بيّن .

ونــأخذ نمطــاً فريداً في قوله تعالي ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَــاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْــوِي الْوُجُــوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِــيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِــنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف/٢٨، إذ يعمل من خلال عدد من المستويات :

---

* ينظر المواضع التالية : الإسراء/ ١٥، الكهف/ ١٧، غافر/ ٤٠ على سبيل المثال .

المســتوى الضــيق : داخل حدود الآية ﴿وَقُلِ الحَقُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُــوهَ بِــئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف/٢٩، فتأتي (من) الموصولة، لتقارن بين الإيمــان والكفر باستعمال الفعل (شاء) الدال على الاختيار، لينسجم مع الثواب والعقاب، إذ لــو كــان الأمــر ليس اختياراً، ما كان ينبغي أن يُحاسب إنسان على شيء لا دخل له في اختياره، ومقارنة باستعمال (من) بين الحالتين المتضادتين: حالة الإيمان وحالة الكفر، غير أنــنا نلاحظ أن من اختار طريق الكفر / الظلم جاء وصفه حتى نهاية الآية باستعمال (ناراً) المنكرة تعميماً وتغمية وتخويفاً له .

١ــ وَإِن يَسْــتَغِيثُوا يُغَــاثُوا بِمَــاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، وبالتالي فإنه ماء، بيد أنه ليس كالماء المعروف؛ لأنه يشوي الوجوه، وهنا مكمن المفارقة .

٢ــ استخدام فعل الذم المتسق مع موضوع التفصيل والوصف : بئس الشراب .

٣ــ استخدام الفعل (ساءت مرتفقاً) .

وتنـــتج هـــذه الاســتعمالات النصية الدلالة الكلية : تخويفاً وتهويلاً، ونبذاً لطريق الكفر من جهة، ومن جهة أخرى ترغيباً في طريق الإيمان، ويدل هذا الاستخلاص على أن الآيــة التالية مباشرة/٣٠ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) دعماً لتلك الدلالة الكلية (السابقة) من ناحية، وتدل الآية/٣١ (أولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْــتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِيــنَ فِــيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) على الوصف الوارد، يرغــب فــي طــريق الإيمان، كما نفرت الآية/٣٠ من طريق الكفر، ويدل هذا إن دل على المقابلــة بيــن الفريقين، وقد جاءت المقابلة ليست باستعمال (من) مع (من)، صحيح هي موجــودة، وإنما داخل آية /٢٩، وتمثل المقارنة بين (من) في (٢٩) ، و(الذين) في (٣٠) مقارنة بين :

ــ أداتي الموصول .

ــ الكافرين والتنفير منهم من ناحية .

ــ المؤمنيــن والترغيب في فريقهم من ناحية أخرى، ومما يؤكد وظيفة المقارنة من خلال اسمي الموصول والموضوع ما يلي :

١ـ في الآية / ٢٩ :

ـ جـاء وصف من كفر في نهاية الآية بأن (ناراً أحَاط بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) .

ـ وفي نهاية الآية (بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً) .

٢ـ في الآية / ٣٠ ، ٣١ :

ـ جاء وصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) .

ـ وفي نهاية الآية (نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) .

وأعتقد أن المقابلة بين ما ورد في (٢٩/١، ٢/٣٠، ٣١) أعلاه، لا يحتاج إلى مقارنة ما هو وارد لكل منهما، وإن تعدى وصف المؤمنين الآية الواحدة، في حين ظل وصف الكافرين داخل الآية، وربما دل بسط البنية اللغوية لوصف المؤمنين ترغيباً وبسطاً لهم في الآخرة، كما أن تضييق وصف الكافرين، يدل على التضييق عليهم يوم القيامة وفي الآخرة، ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن المقارنة في الآية (٢٩) باستعمال (من) ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ ثم فصّل القول داخل الآية فيما يتعلق بالكفر، ولم يذكر في الآية ذاتها وصفاً للمؤمنين، وإنما جاء في الآيات التاليات ليحدث ربطاً بين هذه الآيات، وما يسبقها من ناحية :

ـ التماسك الدلالي (بنية العمق) .

ـ التماسك في البنية اللغوية (بنية السطح)، وبالتالي تكون الآية ٣٠ ، ٣١ :

ـ تفصيل للإيمان الوارد في (٢٩) من ناحية .

ـ مقارنة بين الكافرين في (٢٩) و (٣٠)، وهو ربط أوسع من خلال (من) في(٢٩) و(الذين) في(٣٠) وإن هذين العنصرين يمثلان تماسكاً أرحب مما هو في الآية السابقة .

ـ ثم أخذ في التفصيل الأكثر، حينما ضرب المثل بجنتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) ٣٢ ، ٣٣، تفصيلاً أكثر لما هو وارد قبله وربطاً بين بنية العمق وبنية السطح، وقد تكون المقارنة بين (من) و (الذين) داخل الآية الواحدة كما في البقرة/ ١٢١.

ـ تفصيل خارج حدود الآية ورابط بنية السطح (الربط الأوسع) :

قـــال تعالى ﴿ قالوا بَشَّرْنَاكَ بالحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ القَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّـهِ إلاَّ الضَّــآلُّونَ﴾ الحجـر/٥٥ ، ٥٦ . وفـــي البقرة /٩٧ : ١٠١ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِــبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَــانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ * أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِــنُونَ * وَلَمَّــا جَــاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِــتَابَ كِــتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وفي البقرة ٢٠١ /٢٠٢ باستخدام ﴿ أولــئك لَهُــمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كما أن هناك تفصيلاً خارج حدود الآية، كما ورد أعلاه، فإنه على الاتجاه المقابل، هناك تفصيل داخل حدود الآية، وهو الربط الأضيق .

ـ الربط الضيق : تفصيل داخل حدود الآية * :

البقرة/٨ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ـ مقارنـــة خارج حدود الآية بين (من) و (الذين). البقرة/٨١، ٨٢ ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَــتْ بِــهِ خَطِيــئَــتُهُ فَأُولـــئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أولئك أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وتبدو المقابلة من خلال :

ـ الموضوع .

ـ المقارنة بين (من) في (٨١) و (الذين) في (٨٢) :

* مَن كَسَبَ سَيِّئَةً (فَأولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون)/٨١ .

* وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ .. (أولئك أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)/٨٢ .

ومن هنا، فالمقارنة واضحة لا ريب فيها، وكذلك الأمر في العنكبوت/٦٨ : ٦٩ .

ـ المقارنة بين (من) من ناحية و (الذي) من ناحية أخرى :

ـ مقارنة بين (من) و (من) مرة باستعمالها ومرة بدونها :

* البقرة/ ٦٢، ٢٣٢،آل عمران /١٣، ٢٦، يونس/٦٦، هود/٩٣، يوسف/٢٥، الرعد/٥، فصلت/ ٤٦.

قـال تعـالى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُـدَايَ فَلَـا يَضِـلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/١٢٣: ١٢٤ .

وبـناء علـى مـا ورد لاسم الموصول، فإن أنماط (من) الموصولة تشترك مع الوظـائف الإحالـية الأخـرى للأسماء الموصولة المذكورة قبلاً، ويبقى الافتراض في أن وظيفة التفسير المعجمي ظلت قاصرة حتى الآن على (الذين، الذي، التي)؛ أي ما يدل على العـاقل بشكل عام، ونستنتج من خلال ذلك أن رؤية النحاة في اعتبار (ما) للعاقل ومواضع أخرى لغير العاقل، أن السياقات المختلفة وتتبع النصوص، إنما تدل على شيء آخر، إذ لم تـرد لهـا وظيفة الإحالة المعجمية، بخلاف ما هو وارد قبلها، وما دون ذلك، فإن الملامح العامـة بين الأسماء الموصولة تكاد تكون متقاربة، وإن ظل لكل منها ملامحها الجوهرية المائزة التي تميزها عن غيرها .

وقـد تدل (من) على الربط داخل حدود الآية ﴿ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَـا يَـأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ الكهف/١٥، وهنا يرى أحد الباحثين أن قوله تعالى﴿ أفَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثله هي وجعلتها (افترى) عنصراً إشارياً دلَّ على ذات غير معينة، وقد جرت الإحالة عليه بضمير الغائب المستتر في افترى كذبا على الله تعالى، إذ الآية بمثابة القانون العـام، ويدخل فيه قوم الفتية، لكونهم اتخذوا من دون الله آلهة، وتعد الإحالة هنا من نوع الإحالة بالعودة على السابق القريب[٤٣] ويمكن أن أوجز عناصر الملحوظات فيما يلي :

١ـ أن تحلـيله فـيما ورد فيه تكرير: حيث مثلت (من) الثانية هي وصلتها عنصراً إشارياً دل علـى ذات غـير معينة، ويكرر هذا القول بصيغة ضمنية فيما يلي ذلك مباشرة بقوله : وهو اسم عام مشترك (الضمير الغائب المستتر) في افترى بعدما ذكر في النص، يشير إلى كل من افترى كذباً على الله تعالى ...

٣ـ أظهر أن الإحالة من النوع القريب، ولم يشر إلى من المعني بالشيء القريب .

٢ـ إذا كـان ما ورد في (٢) صحيحاً ـ وهو إن شاء الله صحيح ـ فإن رؤيته لم تتجاوز حدود نحو الجملة في أن الاسم الموصول، إنما يرتبط بجملة الصلة التي يكون من خلال :

---

٤٣ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ص٤٣ .

٣ـ الضمير الموجود في جملة الصلة والذي يرتبط بالموصول .

٤ ـ جملـة الصلة التي تلي الاسم الموصول، إنما هي تفسير للاسم الموصول، ومن خلال هذين المفهومين، مفهوم الضمير الإحالي، والتفسير والتبيين، تقوم العلاقة بينهما .

ومـن يمعـن النظر فيما أورده يجد أن جُلّ قضاياه الموضحة، بل كل قضاياه كان معقـوداً عليها الآمال في أن تتجاوز حدود " نحو الجملة " إلى ما هو أوسع أفقاً وأرحب تفسـيراً، وهو في كل ذلك، إنما يقدم تفسيرات نيرة تكشف جوانب ثرية في إضاءة جوانب مـن الـنص القرآني، وتتبدى جوانب " نحو الجملة " فيما أورده، في عدد من المعايير، نبرز جوانبها فيما يلي :

١ـ (مـن) اسم عام، والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثلت هي وصلتها (افترى) عنصراً إشـارياً دل على ذات غير معينة وهي رؤية نحو الجملة، وليس له في الأمر شيء، وليس فيها ما يدل على ورودها زيادة على ما أورده النحاة .

٢ـ سار على نهج " نحو الجملة " في أنه لم يتتبع القول فيما أراد أن يشير إليه، واكتفى بما قاله النحاة إنها تحيل إلى لاحق قريب، ولم يكتف " نحو النص " بالإشارة إلى أن الإحالـة إلـى قريب أو بعيد، دون أن يحدد المراد، ليتسق المعنى، وإشارته هنا لا تدل علـى الربط، بقدر ما تدل على التعميم الذي يحاول " نحو النص " أن يتخلص منه للولوج إلى رؤية أكثر تحديداً .

٣ـ لـم يحـدد دور الضـمير فـي كيفـية " الاتساق "، ومن هنا حدث خلل بين العنوان " المرتضـى" والتحليل "المبتغي "، إذ لم يظهر دور الضمير في كيفية سبك النص القرآني، وأحسـب أن فصـل القول فيما يمكن أن قوله، إن الضمير يربط عن طريق الإحالة، وهي وظـيفة عامـة، وقـد تكون هذه الإحالة إلى قريب أو بعيد، إذ تظل هذه الظاهرة شائعة . وخلاصة القول إن رؤية التحليل هنا لم تتعد حدود نحو الجملة، وإنما كان ينبغي أن يصنع ما يلي :

١ـ لا يسير في نطاق ما ذكره " نحو الجملة " يتجاوز ذلك إلى فضاءات أرحب وتفسيرات مضيئة، تضيف تفسيرات ودلالات جديدة .

٢ـ كـان علـيه أن يتتـبع علاقة الجذور الواردة في الآية وربطها بما هو مساو لها في مواطـن أخرى من النص القرآني، سواء كان داخل الآية أم داخل السورة أم خارج السورة

: لاحقاً أم مستقدما، وهنا تتجاوز إلى ربط أوسع دلالة وأكثر دقة، وبناء عليه، تتجاوز رؤيته حدود الجملة أو حدود الآية أو السورة .

٤/ . : الوظائف الإحالية لأسماء موصولة أخرى ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن هذه الأسماء فيما بينها ليست واحدة من حيث الوظيفة والاستعمال، وإذا كنا قد أشرنا إلى العناصر الفاعلة فيها فيما سلف بيانه، فإن العناصر هنا، ليست كالتي مضت، وذلك من خلال عدد من الركائز الأساسية، نظهر جوانبها كالتالي :

١ـ أن عدد ورودها في النص القرآني يمثل مواضع محددة، لا تكاد ترقى إلى تلك التي أشرنا إلي قواعدها (الذين، الذي، التي .....) واعتبار التردد، وإن كان ليس له دور فعلي في إظهار جوانب الإحالة، إلا أن عليه معوّل كبير في إظهارها كعنصر له قيمته في البنية اللغوية (بنية السطح) .

٢ـ وهو ما يبدو مترتب علي الأول، من حيث إن قلة التردد في القرآن تنعكس على الوظائف الإحالية لهذه الأسماء، فتكاد تنحصر في عملية الربط الإحالي فقط، وعلى العكس من ذلك، رأينا أن وفرة الأنماط أدت إلى ثرائها وظيفياً، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن :

كثرة الأنماط ⟵ الثراء الوظيفي والإحالي (الذين، الذي، التي ...) .

قلة الأنماط ⟵ فقر في الوظيفة الإحالية (من ، ما ....) .

فإذا احتسبنا هذه قاعدةً في النص القرآني، فيجب أن نحترز من (ما) العاملة عمل (الذي) مع وفرة أنماطها، إلا أن عملها ظل داخل حدود الآية، وهو الربط والمقارنة بين جملتين في دائرة محددة / ضيقة، ونحاول هنا أن نظهر الملاحظات الواردة عاليه في السطور التالية، إن شاء الله .

٤/١: اللذَان ، الذَيْن :

لم ترد في القرآن إلا في موضعين :

١ـ النساء/١٦ ﴿ وَاللَّذَانَ يَأتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأصْلَحَا فَأعْرِضُوا عَنْهُمَا إنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ .

٢ـ فصلت/ ٢٩ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أرِنَا الَّذَيْنِ أضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأسْفَلِينَ﴾ .

فإذا نظرنا إلى البنية اللغوية في كلتا السورتين، تبين :

١ـ أن كـلاً مـنها تأتـي فـي إطار حديث للكافرين، وإن ورد في سورة النساء (واللذان يأتـيانها) والضـمير راجع إلى ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ....﴾/١٥، وأحسب أن الذيـن يأتيـن الفاحشـة، تقـع ضمن الجذر الدلالي الذي يندرج في إطار الجزء الأساسي (الكافـرون) في حين يأتي الحديث في سورة فصلت بالجذر الأصلي (وقال الذين كفروا) إذاً السياق واحد، وإن اختلفت الآليات المؤدية إليه .

٢ـ أن كـلاً مـنها فـي إطار وصف للكافرين، وهو وصف لهم في النار، ويوم الحساب، ويسـتغرق مسـاحة طويلة تبدأ من الآية ١٩: ٢٩، ويتنوع الخطاب مما بين حديثهم مع أنفسهم ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ثم أسباب هذا العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَـوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾/٢٦، ثم النتيجة مباشرة، إذ تقع ضمن بيان كلي داخل السورة، يسـتغرق تسـع آيات كلها تبين كيفية تقسيم الميراث في حالات مختلفة، ثم يأتي وصفها، ومـن يعص الله بأن لا يمتثل بما جاء ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾/١٤، هذا كلـه فـي حالة إذا كان الأبناء شرعيين، وحينما انتهى من الأولى جاء الحديث عن الأبناء غير الشرعيين، وأنهم ليس لهم الحق في الميراث .

وفـي الموضـعين، نلاحظ المقابلة بين طائفتين لا يجد القرآن حرجاً في وصفهما بصـور شـتى، ابتداء من الآية ١٧/ النساء وفيما تلا ذلك مباشرة، وفي فصلت/٣٠ ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ قَـالُوا رَبُّـنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَـنَّةِ الَّتِـي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ومن هنا، فإن (اللذان والذين) يأتيان كأسماء موصولة تربط وتصـف ما هو داخل حدود الآية، وتأتي في إطار كلي، يضم عدداً من الأسماء الموصولة الرئيسية في كلتا الحالتين كما في (الذين) .

٢/٤: اللتان/ اللتين، الآئي، الآلاء :

لم يرد لها شيء في القرآن الكريم .

٣/٤ : اللاتي، واللائي ودورهما في تماسك بنية النص :

١/٣ : اللاتي :

وردت في القرآن الكريم في سبع مواضع*، وزعت كالتالي :

النســاء (٥) مواضع، ويوسف والأحزاب كل منهما مرة واحدة، ويقرر هذا الاستخلاص أن (اللاتــي) خاصــة بجمع النساء، وهذه دلالة تكرارها في النساء، لمعالجة القضايا المتعلقة بهــنّ، والأمــر كذلــك مع المجادلة والطلاق، حيث وردتا في سياق خاص بهنّ أيضاً، هذا تصوراً أولي .

وبــناء علــيه، فإن رؤية النحاة فيها نظر، إذ أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعــاقل وغير العاقل[44]، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لما توصل إليه النحاة في القرآن الكريم على الأقل .

إلا أن تقديم هذه العناصر الموصولة هنا لجوانب الربط تعدت فيما أحسب تصورات نحــو الجملة؛ وقد ساعد ذلك وجودها داخل إطار وصف، وبالتالي يأتي الوصف باستخدام عناصــر لغويــة وغير لغوية، فالعناصر اللغوية كالربط بــ " الواو " بين أكثر من آية؛ لأن الوصف جوانبه لم تنته بعد، كل ذلك داخل إطار شبكة من العلاقات الحابكة لهذه العناصر.

وقــد جــاءت (اللاتــي) كعنصر من هذه العناصر، التي يستكمل بها الحق سبحانه الفــريق الآخــر، وهــم الأبناء غير الشرعيين، مقابل الأبناء الشرعيين، الذي جاء وصف مــيراثهم، أما أولئك فلا ميراث لهم، وبالتالي يظهر عنصر المقابلة داخل القضية الواحدة، وهــي مقابلة صغرى، أي داخل عناصر القصة الواحدة، وتمثل (اللاتي) مع أحداث القضية المــثارة ثمــة مقابلــة أخرى أوسع من أولئك الذين يتوبون ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُــونَ السُّــوءَ بِجَهَالَــةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء/١٧.

ونلاحظ أن المواضع التي وردت فيها (اللاتي) في النص القرآني، أنها تأتي بصفة عامــة ضمن إطار حديث عن قضية ما، وكيفية العلاج ووصفها، وبالتالي أدت هذه الرؤية

---

* أشــير إلى مواضع الورود في القرآن، نظراً لقلة الأنماط وأن ذكرها لن يؤثر على الهيكل العام للبحث ، النساء/١٥، ٢٣، ٣٤، ٦٠، ١٢٧. يوسف/ ٥٠ ، الأحزاب/٥٠ .

٤٤ ابن يعيش : شرح المفصل ٣ /١٤٤ : ١٥٠، عباس حسن : النحو الوافي١/ ٣٤٦ .

أن تطـول مثل هذه المواضع بعض الشيء مقارنة بما يسبقه وبما يلحقه، وتدل المواضع المشـار إلـيها أعلاه على صدق تلك الرؤية، ولهذا فإن الوظيفة الإحالية لـ (اللاتي) تأتي داخل حدود الآية، وقد تحيل إلى بعض المواضع خارج نطاق الآية، هذا ملحظ أوليّ .

غـير أن ثمـة ملحظـا آخر يتعلق بتلك الإحالة الضمنية / الترادفية، أنها لا تحيل بشـكل مباشر، وإنما من خلال أن الاسم قد ذكر في موضع آخر من النص سابق أو لاحق، ومن ثم فالإحالة :

- إحالة صريحة (مباشرة) .
- إحالة ضمنية (غير مباشرة) .

- اسـتعمال أدوات الـربط بيـن جملتين أو أكثر تربط بين أجزاء النص الواحد، ويحدث تماسـكا علـى مسـتوى بنية السطح وبنية العمق، ومن خلال هذه العناصر تتبدى قسمات الوظـيفة الإحالـية لــ (اللاتي) التي تعمل على سبك البنية اللغوية، والتي يترتب عليها التماسك الكلي .

وعلـى هـذا، فـإن وجوه المقاربة واضحة بين (ما) و (اللاتي) من ناحية، في مقابل الأسماء الموصولة الأخرى (الذين، الذي، التي، من) التي تمثل العناصر الأساسية، كما وردت الإشارة إلى ذلك من ناحية أخرى .

وربمـا تمثل هذه المفارقة المباشرة بين الطائفتين، وعلى الرغم من ذلك، فإن ثمة مواضـع عدة وردت فيها (الذين ، الذي، التي، من) تعمل عمل (ما، اللاتي، اللاتي)، ولهذا فإنها تشترك معها في وظيفة، وتزيد الطائفة الأساسية من الأسماء الموصولة عن الطائفة الثانوية في وظائف عدة أساسية، أشرنا إليها في موضع سابق .

إذا كـان النحاة قد أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعاقل وغير العاقل[٤٥]، إلا أنني ألاحظ أنها لم ترد إلا مع جمع المؤنث للعاقلات في جميع مواضعها هنا، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لرؤية النحاة في نحو النص القرآني دون غيره .

إلا أن تقديمهـا لجوانـب الربط تعدت حدود نحو الجملة، أي الربط بين الموصول والصـلة مـن ناحية أو ربط جملتين بالإضافة إلى عناصر لغوية أخرى في الربط بين أكثر مـن جملـة، ففي قوله تعالى ﴿ وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا

---

٤٥ ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٤ : ١٥٠، عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٤٦ .

عَـنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ النساء/١٥ ، هذه الآية عقب الحديث المفصل من الحق سـبحانه فـي كيفية توزيع المراتب بداية من الآية /١١، ١٢ ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَـرِ مِـثْلُ حَـظِّ الأُنثَيَيْـنِ ....﴾ وجاء العطف بالواو ليس ربطاً بين جملتين، وإنما بين الآيتين /١١، ١٢ .

وتمـثل الآيـة /١٢ إحالة عن طريق الوصف لما هو وارد في الآيتين السابقتين مباشـرة، ولم يقتصر على ذلك، وإنما جاءت المقابلة من خلال " من " الموصولة التي فيها رائحـة الشـرط، لـتعقد مقارنة بين طاعة الله ورسوله ومعصيته ونتيجة ذلك، ففي حالة الطاعـة تأتـي النتـيجة بإدخـال الجنات، ثم وصف هذه الجنات بأن لها أنهاراً تجري من تحتها، ليس هذا فحسب، وإنما الحياة فيها خلود بلا موت (خالدين) والوصف باسم الفاعل يفيد الثبات كما قال البلاغيون [٤٦]، أما حالة المعصية يدخله ناراً خالداً فيها .

ثـم جاء عطف اللاتي (الآية/١٥) على الآية السابقة، على الرغم من كون العلاقة ليسـت باديـة، إلا أن ثمة علاقة يتداخل في السياق العام، وهو عصيان الله وتعدي حدوده فـي حالـة عـدم تقسيم الميراث، حسب ما جاء في الآيات؛ لأن في كل تعدي لحدود الله، ودلـيل هذه العلاقة، أن الحق جل وعلا، لم يذكر عقوبة مرتكبها في الآخرة، اكتفاء بما هو وارد فـي الآية السابقة مباشرة/١٤ ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، حتى الآية التالـية لذلـك (١٦)، لم يذكر عقوبتها اكتفاء بما هو وارد في الآية السابقة/١٤، واكتفى بذكـر عقوبـة الدنيا ﴿ وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ تَوَّابـاً رَّحِيماً﴾ وترتبط هذه الآية بما قبلها بعلاقة المشاكلة اللفظية، وتتمثل في لفظيـن فـي هـذه الآيـة، الأول: (متابا)، والثاني (توابا)، وفي كلتا الحالتين يرتبط بلفظ "التوبة" الوارد في الآية التالية/١٧، إلا أن لهذه الألفاظ مقاربة دلالية نشير إليها كالتالي :

إن ذكـر الحـق سـبحانه بأنه : تواب رحيم، يناسب السياق اللغوي، حيث يدور الحديث عن التوبة، وأن من عاد، فإن الله تواب رحيم، غير أن التوبة في آية/ ١٧، إنما تعـود علـى توبـة العباد، وبالتالي فالأولى المتعلقة بتوبة العباد، والثانية وصفه سبحانه وتعالى بالتوبة تناسب العباد، ومما يؤيد ما أذهب إليه قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ

---

٤٦ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .
القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٨٧ .
د. فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية ص ٩ .

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ /١٧، وهكذا ترتبط هذه الآية/١٧ بما هو قبلها من الآيات بما يلي :

ــ وحدة الموضوع،إذ الموضوع كله عمن يتعد حدود الله، ومن يعصه، ثم يتوب الله عليه.

ــ إن (إنمـــا) للقصــر والتخصيص، إنما تدل على أنها ترتبط بجملة قبلها، وليست معزولة عما يليها .

ــ ترتــبط هذه الآية بما قبلها بالتفصيل/ الوصف الذي تدل عليه " فَأولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً /١٧، فهي نتيجة لما هو وارد في الآية/١٦، ١٧ واحدة بواحدة .

وممـــا يدعم هذا الطرح أنه في الآية /١٨ تأتي النتيجة في ذات الآية ﴿ أُولَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، وتقع الآية /١٨ في علاقات تشابك مع ما قبلها من خلال عدد من الأمور:

١ــ وحدة الموضوع، وقد أبنت عن ذلك .

٢ــ علاقة الربط القائمة بينها وبين الجملة السابقة باستعمال (الواو) .

٣ــ تعــد الآيـــة/١٨ جملـــة استثناء للآية الواردة قبلها، وبالتالي يكون المعنى، وليست التوبة للذين يعملون السيئات .... إنما التوبة على الذين يعملون السوء بجهالة .

ثـــم يأتي في الآية /١٩ الحديث عن عدم ورث النساء كرهاً والمعاشرة بالمعروف لـــلأزواج .... الـــخ هذه القضايا الاجتماعية، ولا ريب أن عدم فعل هذه الأوامر، إنما يوقع الإنســـان فـــي دائـــرة : من يعص الله، ومن يتعد حدود الله، والعلاقة بينهما وبين الآيات الســـابقة بادية، إلا أنها على استحياء يحيط بها سياج من العلاقات المتشابكة، وهي تحتاج إلى من يرجع البصر فيها مرة تلو الأخرى؛ لينقلب هذا التفكير والتركيز عن أشياء ــ على الرغم من أنها موجودة ــ غير أنها خافية على من يمر عليها مروراً عابراً، أما من يمعن النظر فتتكشف له جوانب دلالية وعلاقات متداخلة تجمع أواصر هذه الآيات بعضها ببعض، إذ لا يمكـــن الجزم بأن هذه العناصر تعمل منفردة داخل وحدة النص، وإنما تتضافر بجانب عناصـــر لغوية وغير لغوية أخرى تساعدها على التماسك مع ما يسبقها وما يلحق بها من آيات، ويمكن أن أبرز هذه الجوانب على النحو التالي :

١ــ عناصر لغوية مثل (حروف العطف : ثم، الفاء، أو أمّا ...الخ) .

٢ــ الربط عن طريق التفسير المعجمي؛ بمعنى أن تكون جملة الصلة تفسيراً لما هو وارد فـــي الآيـــة الســـابقة لهـــا مباشـــرة، أو استدراكاً لما هو وارد قبلها (كما بينا في الآيات الماضية).

٣ــ الــربط من خلال أن الموضوع عام لكلتا القضيتين، يمكن أن يكون واحداً، على الرغم مــن وضوحه من أنهما ينتميان إلى قضيتين مختلفتين، أعني أن موضوعهما يكون واحداً في إطاره العام (وقد أبنا عن ذلك فيما ورد عاليه) .

٤/٤ : " ما " ودورها في تماسك النص القرآني :

حاولــت اســتقراء المواضــع التــي وردت فيها (ما) كاسم موصول في القرآن الكــريم، فوجدتهــا كثــيرة، ولم أشأ أن أحصيها؛ لأنها لن تقدم شيئاً يهم جوانب المعالجة وتبّين إظهار الوظائف الإحالية في النص القرآني، غير أني وجدت ــ في تتبع النصوص ــ أن (ما) ليس لها إلا وظيفة واحدة، تأخذ شكلاً يكاد يكون واحداً، على الرغم من اختلاف الســياقات المخــتلفة، وهي تربط بين جملتين داخل إطار الآية الواحدة، ولما وجدتها كذلك فــي كــل المواضــع، لم أشأ أن أعرض لها، ومن يشاء فليرجع إلى مواضعها في القرآن الكريم، وهي تدل دلالة واضحة على صدق ما أذهب إليه .

غير أن الملاحظ أنها ليست جميعاً جملة صلة، أو اسم موصول، فهي نافية مرة، وأخــرى اســتفهامية، وثالثة موصولة ....الخ، وهكذا تتنوع دلالتها القائمة على أساسها، وهكذا نلاحظ أنها تأتي في سياقاتها القرآنية على النحو التالي :

١ــ ما ــ رابطة بين جملتين (في آية واحدة) :

*مــن ←—— موصــولة ، يأتي خلفها وصف ←—— ثم نتيجة (أولئك) في آية واحدة (النساء/٤٨) .

*من (شرطية) يأتي خلفها وصف ←—— ثم نتيجة (جواب الشرط) في آية واحدة .

٢ــ مــا ←—— وصف ←—— نتيجة في آية تالية (أولئك) (آل عمران/١٩٩، النساء/ ١٦٢) .

٣ــ من/ ما ←—— وصف نتيجة داخل الآية، بدون استعمال (أولئك)، التوبة/٩٩،٩٨،

ونلاحــظ أن " مــا " عــندما تــتكرر فــي آية واحدة، ندرك مغزاها من خلال تتبع مقارنة النصوص القرآنية، وهي المقابلة، كما في إبراهيم/ ٢ ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِــي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وإبراهيم/٣٨ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا

نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ مثلاً *. إلا أن ثمة قضية تحـــتاج إلى إثارة وجيزة، أعرض لها كالتالي، ففي قوله تعالى﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس/ ٣٥ .

وتتمـــثل المشكلة في إعراب ما فوق الخط (وما)، فـــ " نحو الجملة " لا يمنع أن تعـــرب (ما) اسماً موصولاً، وفي هذه الحالة تكون " الواو " عاطفة، غير أن ثمة رأياً آخر مفـــاده أن (مـــا) تكـــون نافية، وبالتالي فإن (الواو) للحال، على اعتبار أنها موصولة، يكون المعنى ليأكلوا من ثمره الذي عملته أيديهم، وعلى أساس أن (ما) نافية ليأكلوا من ثمره ومما لم تعمله أيديهم، وهذا الرأي الأرجح، على اعتبار أن الأكل مما لم تعمل الأيدي، أدعـــى إلـــى الشكر مما تعمله اليد، وذلك مأخوذ من قوله : أفلا تشكرون، توكيداً على هذا الرأي [٤٧] .

٤/٥ : (ماذا) ودورها في تماسك النص :

لا ريـــب أن تصورات النحاة حول جملة الأسماء الموصولة تجعل (ذا) مع (ما) الاســـتفهامية، ونتبين مما هو وارد في النص القرآني أن (ذا) الموصولة والمرتبطة بـــ (ما) الاستفهامية، قد وردت في عدد من الآيات (٢٠) موضعاً .

وواضح أن رؤية النحاة حول جعل (ذا) مع (ما) الاستفهامية تجعل القارئ في حـــيرة ، وأنى لنا ـــ والحال ما سبق بيانه ـــ أن نستشرف آفاق (ماذا) ورؤية النحاة حول ذلـــك لا توحـــي بعظمة المسئولية الملقاة على (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وتعتضد هذه الرؤية بما يلي بيانه :

١ـــ أن ورود (ذا) مع (ما) الاستفهامية في النص القرآني، لم ترد بشكل كبير .

٢ـــ وإذا كنا لم نعّول على عدد الورود، فالأجدر والأولى أن نعول على الاستعمال، ونخلص مما هو في السياقات الخاصة بـــ (ذا) و (ما) الاستفهامية، أنها ليس فيها ما يحيل إلى (ذا)، وبالتالـــي فإنها تفتقد إلى صلة لهذا الموصول، وعلى هذا، فإن استخلاص العناصر الفاعلـــة التي تقوم بها (ذا) في انحباك وانسباك بنية النص، تبدو فقيرة مقارنة بالأسماء

* يـــنظر مواضـــع أخرى من النص القرآني : النحل/١٩، ٢٣. طه /٩، ١١٠ ١١١. الحج/١٢، النور/٣١ على سبيل المثال لا الحصر .

٤٧ ينظر حول هذه الجزئية د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ٩ .

الموصـــولة الأخـــرى، إذ لـــم يمكن استخلاص عناصر فاعلة لها، إلا على مستوى الجملة وداخل حدود الآية، بل الجزء من الآية الواحدة .

وبيّن من هذا أن السمات الوظيفية لـــ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، هي السمات ذاتهـــا مع (ما) في أن عملها لا يتعدى حدود الآية الواحدة، وهذا من شأنه أن يقلص من ورودهـــا، بالإضافة إلى أننا لم نجد لها وظائف أخرى ـــ من خلال تتبع النصوص الواردة فيها ـــ إلا ما ذكرت .

٦/٤ : (أي) ودورها في تماسك النص :

نخلـــص من خلال نصوصها المذكورة في القرآن الكريم : أنها وردت في مواضع لا تقـــل عما ورد لـــ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وربما تكون أكثر، بيد أن المعول عندنا لـــيس بكـــثرة التردد، بقدر ما نعول على الوظائف التي تقدمها، وليس مراداً بما سبق أن نقلـــل مـــن أهميتها، وأن هذه الوظائف لـــ (الذين، الذي، التي، من) حاضرة جميعها هنا، وإنما المراد بهذه النصوص تمثيلاً جيداً لهذه الظاهرات مجتمعة .

ونتوصـــل مما سبق أن عدداً من الملاحظ في تصوري على جانب كبير من الخطر مـــن جهتيـــن، الأولـــى: أن وظـــيفة النصوص التي وردت فيها (أي) ، لم تتجاوز حدود الجملـــة، وهـــي تعطي تصوراً واضحاً يمكن أن نخلص إليه . الثانية : أن الوظيفة الأولى تجعلهـــا تشـــترك (أو تتساوى) مع كل من : ما ، ماذا ، من، وبالتالي يبدو تقسيمي البادي فـــي صدر البحث أن هذه الأسماء من حيث العمل والأهمية ليس شيئاً واحداً، وليس مراداً بما سبق أن تكون هذه العلل حاضرة في جميعها بدرجات متساوية،وإنما تمثل تمثيلاً جيداً.

ومن ثم فليس جديراً بالنظر أن تُحمل هذه الأدوات على عواهنها، وإنما الأجدر أن تســـتقرأ في مظانها، وأنها كانت حقيقة أنه تستنبت بذرتها وتحظى بالرعاية، والسقيا، بدلاً مـــن تركها تؤخذ على علتها، خاصة أن السياقات اللغوية وغير اللغوية، ربما تنتج قواعد تشـــذ عن القاعدة، وهو ما أطلق عليه في " نحو الجملة " بـــ الاطراد، أي اطراد القاعدة والمعيارية [٤٨] .

---

٤٨ ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص١، وينظر نقد د. سعد مصلوح لرؤية د. تمام في : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص ص٧.

ويتحصل مما سبق بيانه في البحث أن الصيغة التي اقترحتها في صدر البحث من تجـزئة الأسـماء الموصـولة، وجَعْلِهـا فـي فئات ثلاث لرُؤية جديرة بالنظر وأخذها في الاعتـبار، والرأي عندي أنه لا حجة فيما أورده النحاة على أنه قول فصل، وإنما ينبغي أن نـرجع فيه البصر، ونديم فيه النظر، ونوسّع الدائرة فيما ورد في التراث العربي من مادة يمكـن أن تستثمر الاستثمار الأمثل، وليس كل حصيلتهم، يندرج في إطار " نحو الجملة " خاصـة إشـارات المفسرين التي تعدت في أحايين كثيرة قواعد النحاة، وتجاوزت ــ بناء علـى الاسـتعمالات الفعلـية ــ حدود ما قعّد له النحاة، وضربوا في مواضع عدة بقواعد الـنحاة عـرض الحـائط، هذه الإشارات، هي التي ينبغي أن تؤخذ بعين الفحص والدرس؛ ليتناسخ الموروث القديم والوافد المعاصر في جسد المثاقفة الحديثة .

٥/٠ : رسم تخطيطي لنموذج الإحالة خاص بالاسم الموصول :

٥/١ : السمات المميزة للإحالة :

نشـير إلـى أن جوانب التحليل تعتمد على إمكانيتين في غاية الأهمية، وإن كانتا تنتميان إلى جوانب تحليلية مختلفة :

١ــ تقديـم الدلالـة الجزئـية فـي الـنص، ويعتمد ذلك على العلاقات القائمة بين الجمل والاسـتبدال اللفظـي، ويمـثل ذلـك الجمل في علاقات بعضها ببعض، وأن هذه الرؤية لا تتجاوز حدود نحو الجملة.

٢ــ تقديـم تفسـير للدلالات العامة، من خلال المفارقات القائمة بين السياقات، على الرغم مما يبدو من تشابه بادي، ومن ثم يظهر أن هذه النظرة أوسع مما هي في النقطة السابقة، وأن التصـورات تمـثل رؤيـة نحـو النص، والملحظ السابق يمثل تصورات نحو الجملة، وينبغـي أن نشـير إلى أن التحليل في هذا البحث يعتمد الإمكانيتين معاً، ومن ثم يفيد من تصـورات نحـو الجملـة ولا يرفضـه ويوسّع من دائرة البحث فيه، فيما يمكن أن يمثل تصورات لنحو النص، وهكذا تتبدى رؤى جديدة، ربما لم تخطر في ذهن منتج النص .

ونؤكد أن اعتمادنا العنصرين السابقين الذكر، إنما يشيران إلى أن عناصر التحليل النصـي، لا يمكن بأية حال من الأحوال أن ترفض نحو الجملة، وإنما تنطلق منه، وتوسع فيه لتقديم جوانب مضيئة لإثراء تفسير النص .

وإذا كانت الوظائف الإحالية متعددة ومختلفة بتعدد السياقات، فإن هذا الاختلاف ينتج عنه اختلاف آخر، وهو يكمن في بنية الإحالة . وتجدر الإشارة إلى أن الإحالات لاسم الموصول تأتي في إطار نوعين :

١ـ الإحالة الصريحة : وتمثل الإحالة الأساسية التي يأتي عليها الاسم الموصول، في إحالتها إلى ما هو سابق أو لاحق بشكل صريح ومحدد .

٢ـ الإحالة الضمنية : وهي أقل من الأولى في الاستعمال القرآني، وتأتي من خلال نوعين:

أ ـ الإحالة إلى ما هو خارج النص، وهي خاصة بالذات العلية (لفظ الجلالة) .

ب ـ الإحالة بالضمائر (ضمائر الفاعلية والمفعولية ... الخ)، وهي تعمل :

ـ داخل حدود الآية، فتعمل على تماسك الآية من خلال تكثيف الروابط والتركيز عليها . ـ خارج حدود الآية، بإعادة هذه الأفعال أو الصفات إلى المركز الأساسي المحيل إليه ، وهنا نود إبراز السمات الأساسية الجامعة على النحو التالي :

ح	يعني هذا الرمز إحالة، فإذا كانت الأسماء الموصولة من المبهمات، وبالتالي فإنها لا تكتسب معناها إلا من خلال وجودها داخل جملة على الأقل، وتمثل السمة الأساسية لكل عنصر موصولي على الإطلاق، إضافة إلى العنصر المفهومي كالمقارنة المقابلة والتفسير... الخ، وبالتالي فهي الوظيفة العامة للاسم الموصول . وينبغي أن أشير إلى أن ترتيب هذه الرموز والمصطلحات، إنما جاء تبعاً لأهميتها ومدى انتشارها في النص، ومن هنا، فإن المقدم هو الأهم، يليه ما هو أقل أهمية .
ح . م	نقصد بها الإحالة المعجمية، وتشترك فيها كل من : الذين، الذي، التي، من، وتأتي من خلال شكلين :
(ح . م)	الأول : خارج حدود الآية، وهي تحيل دائماً إلى عنصر محدد أو كلمة أو وصف في آية أو اثنتين أو ثلاث، وقد يتجاوز ذلك في بعض المواضع .
(ح . ق)	الثاني : الإحالة بالمقابلة، وتأتي مع اسم الموصول مثل : الذين، الذي،

التي، من، وبالتالي فإن هذه السمة أقل شيوعاً من الإحالة المعجمية من حيث ورودها في ثلاثة أسماء موصولة، في مقابل أربعة أسماء موصولة في الإحالة المعجمية، وهذه الإحالة تأتي في أشكال عدة ومختلفة على النحو التالي

(ح . ق . م) إحالة مقارنة باستخدام (إما)، وتشترك فيها : الذين، من، ومن ثم فهي أخص، وتأتي من خلال :

(ح. ق.م. د) داخل حدود الآية .

(ح. ق . م)

(ح. ق. أ. خ) إحالة مقارنة من خلال (إمّا) أو (أمّا) خارج حدود الآية، وهي وما قبلها، تأتي بشكل يكاد يكون متقارباً من خلال الاسم الموصول . وبناء عليه، يمكن استخلاص أن : الذين، من، تعدان اسمين موصولين أساسيين في الأسماء الموصولة في قضية الوظائف الإحالية للأسماء الموصولة .

(ح . ق . ب . م) إحالة مقارنة بدون (أما أو إمّا)، وتمثل هذه سمة أساسية في النص القرآني، وهي عنصر دلالي (Kohärenz)، تعمل من خلال :

(ح. ق. ب. م. د) إحالة مقارنة بدون استعمال (أما أو إمّا) داخل حدود الآية .

(ح . ق . ب . م . خ) إحالة مقارنة بدون استعمال (أمّا أو إمّا) خارج حدود الآية ونلاحظ من خلال تتبع النصوص، أنها جاءت تراوح بين الإحالتين، حتى نكاد نقول إنهما يمثلان سمة متقاربة من حيث الورود .

(ح . ق . ك) إحالة مقارنة باستعمال (لكن)، وتأتي فقط مع (الذين)، وهي أقل أنواع الإحالة بالمقارنة، من حيث الكم والكيف على السواء .

(ح . ق . ذ . ن) إحالة مقابلة بين (الذين) و(من)، وهي ليست مثل الإحالة بالمقابلة بدون (أمّا أو إمّا) فانتشارها يعد أقل، لكن ليس بالمقابلة بـ (لكن)، غير أنها ربما تزيد قليلاً .

(م) : (ما) على الرغم من كونها تؤدي معنى "الذي"، إلا أنها لا تقوم بوظائفها وتدل المقارنة بين الوظائف الإحالية لـ (الذي) و(ما) على تحقق ذلك، إذ لا تحيل إلا لما هو داخل الآية فقط، وتعد بذلك أقل الأسماء الموصولة من حيث الوظائف الإحالية .

٢/٥ : تقسيم الأبنية وإحالاتها في النص القرآني :

بنية جديدة : (ب . ح. ج)	وهي البنية التي تأتي لأول مرة في موضعها، ويحيل إليها الاسم الموصول إحالة مباشرة، سواء أكانت موجودة أم محذوفة .
بنـية غـير جديدة (ب.غ.ج)	وتمـثل البنية التي يقع عليها الاسم بطريقة غير مباشرة، والتي يمكـن أن تحـال في النص بطريق غير مباشر، والتي يمكن أن تحال في النص بشكل ضمني .
متطابق(ت)	هنا يوجد للاسم اسم آخر يسبقه أو يلحقه في النص، ويحال عليه الشيء نفسه بطريق مباشر أو غير مباشر .
غير متطابق (غ. ت)	هنا يوجد للاسم اسم آخر مماثل له (مطابق له)، يمكن أن يسبقه أو يلحقه في النص .
محدد (ح)	هـنا ينبغـي للمتحدث تحديد الموضوع، الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة .
غير محدد (غ .ح)	لا يمكن للمتحدث أن يحدد الموضوع الذي يحيل إليه الاسم بشكل مباشر .
عام (ع)	أن الاسـم لا يـؤدي مباشرة إلى الإحالة الضمنية، ولا يقوم على موضوع محدد منه .
خاص (خ)	لا يؤدي الاسم إلى الإحالة مباشرة، ولا يقوم على خاصية محددة.
تقابلي : (ق)	يوجد بجانب العنصر الإحالي عنصر مفهومي آخر كالمقابلة بين المؤمنيـن والكافرين، وله دور في تماسك النص، ويدعم الإحالة ويقويها .
غير تقابلي (غ . ق)	يحـيل اسـم الموصـول إحالة واحدة بدون وجود المقابلة بين الآيات .
معروف(ف)	هـنا يفـترض المتحدث أن البنية التي يحال إليها الاسم بطريقة مباشـرة معـروفة للسـامع، ذلـك أن المـتكلم يفترض أن هذا الموضوع معروف للمتلقي .

مجهول(هـ)	هـنا يفـترض المـتحدث أن الموضوع الذي يمكن أن يحال إليه الاسـم بطـريقة مباشـرة ليس معروفا للسامع، ومعنى ذلك أن المـتحدث يعرف هذا الموضوع ولا يمكن تحديده أو معرفته عن طريق التلقي، وبالتالي ربما يحتاج إلى أسباب النزول أو السياق المقامي .
محدد بشكل مباشر(م. ش. ب)	حيـث إن المتحدث يفترض أن الموضوع الذي يحال عليه الاسم مباشرة يمكن أن يُعرف أو يحدد مباشرة من المتلقي/ المستمع .
غـير محـدد بشـكل مباشر(غ.م. ش)	حيـث إن المـتحدث يفترض أن الموضوع الذي يحال إليه الاسم غير محدد بطريقة مباشرة للمتلقي .

٣/٥ : محدد النص : Textmark :

يعـتمد هـذا العنصـر على العنصر السابق (السمات المميزة للإحالة)، ومن ثم يكون تنظيماً وتوضيحاً له، وهكذا تتجلى العلاقة بينهما .

ونقصـد بـ" محدد النص " السمات الجوهرية التي تقوم عليها الإحالة في المطلب السـابق، ويمثل النص سمة دلالية مهمة، يؤدي إلى تفصيلات دقيقة، تظهر جوانبه وتحدد قضاياه، وعلى أية حال، فإن محدد النص يختلف باختلاف النصوص، إذ يمثل "محدد النص" عناصـر قـد تتفق أو تختلف مع نصوص أدبية أخرى، وبالتالي فإن استنتاج محدد النص، يعـتمد بشـكل أولي على استنباط السمات العامة للإحالة في النصوص المختلفة . وإذا كنا نعـتمد الـنص القرآنـي كمادة تحتاج إلى تحليل، ونحتسبه نصاً واحداً، رغم كونه حاصل سياقات عدة تتنوع ما بين :

١ـ النصـوص الحواريـة : ويمثلها حديث موسى مع الحق سبحانه، أو حديث موسى مع الرجل الصالح، أو حديث المرسلين مع قومهم، وحديث الكافرين مع خازن النار (مالك) .

٢ـ نصـوص خاصة بالمستقبل (حوارات فردية ـ متجهة إلى الخارج) وتمثلها نصوص الدعاء : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ... لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ...الخ .

٣ـ نصـوص حواريـة خاصـة بالمرسـل (حوارية فردية، متجهة إلى الداخل) وتمثلها النصـوص القرآنية، الأوامر والنواهي، وهي تمثل قاعدة النص في القرآن الكريم ـ حسب

رؤيـــة الفقهاء ــ : افعل أولا تفعل، وبالتالي شغلت حيزاً مرموقاً منه، وقد أدى هذا الملحظ إلى جملة من التصورات نسوقها كالتالي :

أــ أن الفقهـــاء فـــي علم الأصول، أدركوا ذلك، فحظي باب الأمر والنهي بمساحة لا بأس بها.

ب ــ أن المحدثيــن لاحظوا هذا الاهتمام في القرآن الكريم من ناحية، وتركيز الفقهاء من ناحية ثانية، فأدى بهم إلى تخصيص دراسات في هذا الاتجاه، وجاء هذا الاهتمام من خلال طائفتين :

الأولى : دراسة الفقهاء الأصوليين، إذ خصصوا جزءاً كبيراً من أبحاثهم فيما يتعلق بقضية الأمر والنهي، وتدل الدراسات التي لا داعي لذكرها هناعلى ذلك .

الثانــية : دراسة اللغويين، وقد أدى البحث في القرآن الكريم إلى معالجة مثل هذه القضايا مــن الناحية الدلالية، والدراسات في هذا المجال، لا تقل أهمية من حيث الكم والكيف، عما هو قائم في الطائفة الأولى .

٤ــ النصوص الوصفية (متجهة إلى وصف فعل خاص بالمستقبل) :

أــ نصــوص وصفية خاصة بالمقابلة : تمثل سمة بارزة في النص القرآني، من حيــث جــزاء المؤمــن وعقـــاب الكافــر، وتأتي هذه النصوص في أشكال شتى ومتــنوعة، وقد أدى هذا التنوع إلى إفراز ألفاظ دلالية تدور في فلك الجذر الدلالي للمؤمن والكافر، وقد أشرت في مطلب سابق إلى ذلك.

ب ــ نصــوص وصــفية خاصة بالإحالة المعجمية / الوصف، وتمثل سمة من حيث الانتشار تجعلها في مرتبة دانية مما هي قبله .

وبـــناء على ذلك، فإن هذه الأنواع المختلفة من النصوص تثري النص القرآني من جهـــة، ومـــن جهة أخرى تمثل حصيلتها الأخيرة " قاعدة النص " القرآني، وبالتالي يكوّن الـــنص بناء لغوياً معبراً عن سياق واحد أو عدة سياقات، ينجز مهمة اجتماعية من خلاله، وهـــذا البناء اللغوي قد يطول، وقد يقصر تبعاً للسياقات، غير أن الذي يظل ماثلاً أنه أطول من الجملة .

وبالتالـــي لا يمكـــن أن نتصور " النص " بدون " الجملة " وذلك أنها تمثل الأساس الـــذي يـــتكون منها، وهنا نشير إلى أن هذه الجمل فيما تتفاعل من خلال عدد من الأدوات والضـــمائر والروابط الصريحة والضمنية وحروف الجر والإحالات بأنواعها، وكلها عناصر

فاعلـــة في سبك وحبك بنية النص . و ليس من ظل لريب في أن الأساس الذي تنطلق منه هــو الجملـــة التـــي تكـــون مع جمل أخرى البنية الكبرى، وبالتالي فإنه ليس هناك إنكار للتصـــورات القائمة ثمة، وإنما الانطلاق منها إلى ما هو أرحب، وبالتالي ليس صحيحاً، ما يقال إن تصورات " نحو النص " تقصي تصورات " نحو الجملة " ولا تعتد بها .

وهـــنا أحـــاول أن أستظهر العناصر الموصولة ودورها في تماسك النص القرآني، ونلم كلما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، فيما يتعلق بالعناصر الموصولة والعناصر اللغوية الأخرى : حـــروف العطف والروابط اللغوية الأخرى، إضافة إلى عناصر التماسك الدلالي ، وأراها بـــارزة هـــنا فيما أطلقت عليه بـــ "المقابلة" والإحالة المعجمية/ التفسيرية .... إضافة إلى عناصـــر أخـــرى لا تقـــل أهمـــية عن العناصر البارزة على سطح القرطاس، على أن هذه العناصر الماثلة على السطح، تأتي في :

١ـــ تتابع أفقي للجمل .

٢ـــ استقلال نسبي للجمل .

٣ـــ تماسك داخل هذا التتابع الجملي .

٤ـــ تماسك بنية هذه المكونات، يؤدي إلى تماسك بنية النص* .

وتمـــثل هـــذه العناصر الخصائص البارزة للاسم الموصول في " نحو النص " في القـــرآن الكريم، وتعد سمة " التتابع " سمة نصية مهمة تؤدي ـــ لا محالة ـــ إن وُجهت أو اســـتغلت بشـــكل جـــيد في التحليل إلى استخلاص تصورات مهمة؛ تظهر جوانب التماسك للبنية الكلية لنص . وأحاول أن استخلص النسق القاعدي لـــ " نحو النص " كما هو وارد في النص القرآني على النحو التالي :

١ـــ النص (ص) ⟵ # الجملة (ج) .

٢ـــ ج ⟵ م س (مركب اسمي) م ف (مركب فعلي) .

٣ـــ م ف ⟵ ف .

٤ـــ م س ⟵ س .

---

* هـــذه الخصـــائص اعتبرها إيزنبرج خصائص نحو النص، وهي تقريباً تنسحب على ما هو في القرآن الكريم، ينظر فولفجانج/ ديتر: مدخل إلى علم لغة النص ص٢١ .

٥- س ⟵

{ ب ج
ب غ ج }

{ ت
غ ت }

{ ع
خ }

{ ف
غ ت }

{ ف
غ ق }

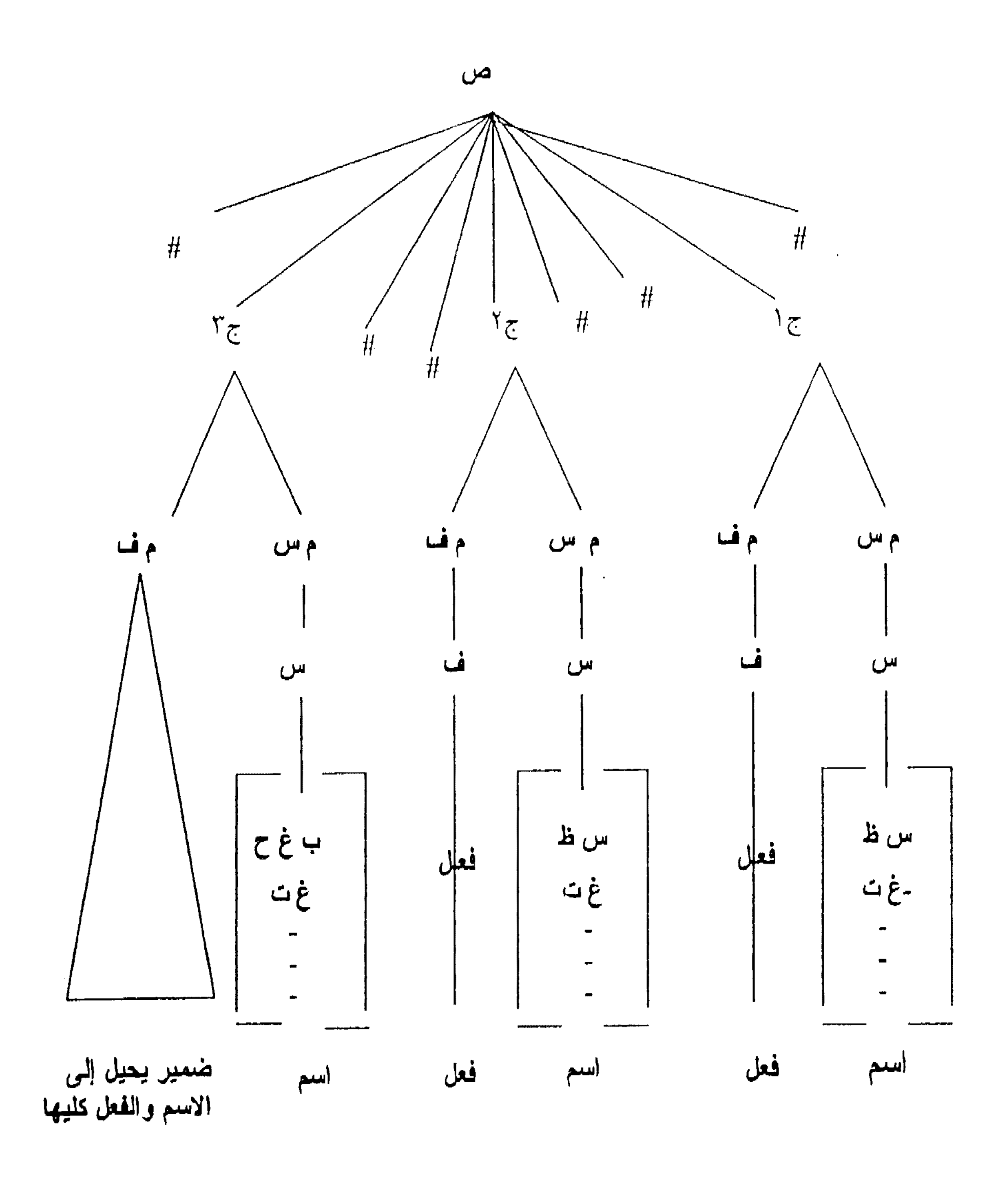
{ ف
هـ }

{ م ش ب
غ م ش ب ب }

{ *
* }

{ *
* }

{ *
* }



تخطيط يوضح النسق القاعدي للاسم الموصول في النص القرآني

٤/٥ : قواعد النص (Textregeln) :

لا ريـــب أن " نحو الجملة " الذي كان سائداً في الأنحاء التقليدية، هو الذي ينتج قواعد النص، غير أننا ننظر إليه نظرة أخرى من خلال علاقات اسم الموصول التي تتجاوز حدود الجملة في" نحو النص "، وقد تمت معالجة الاسم الموصول في نحو الجملة، بيد أن معالجـــتهم لم تتجاوز حدود الجملة، كما تم بيان ذلك في صدر البحث، وليس المقصود بـــ " نحو النص " أننا نتصور نحواً جديداً، وإنما مقصدنا في ذلك أن نوسّع النظر، ونستخلص عـــدداً مـــن القواعد الحاكمة للاسم الموصول في القرآن الكريم، التي يمكن أن نطلق عليها قاعدة النص ، وأذكرها في العناصر التالية :

أولاً : الاسم الموصول يمثل عنصراً إحالياً:

أ ــ إلى جذر دلالي محدد، وهذا العنصر قد تكون :

ــ إحالته قبلية، وهي تأتي في إطار نوعين :

ــ إحالـــة أوســـع : وهـــي الإحالة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي في الآية السابقة، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة أو غير ذلك .

ــ إحالة أضيق : وهي الإحالة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي داخل حدود الآية، وتمـــثل الإحالـــة هنا إحالة مباشرة ومحددة، سواء أكانت إحالة واسعة أم إحالة ضيقة من خلال استخدام الاسم الموصول .

ــ إحالـــة أكثر وسعاً : توكيداً للإحالة السابقة بالاسم الموصول، وهي غالباً ما تأتي خلفه، ســـواء داخل الآية أم خارجها في آيات تاليات، وذلك يأتي دائما باستعمال (هؤلاء و ذلك)، وأحســـب أن مفارقـــة قائمة بينهما في الاستعمال القرآني، حيث تأتي هؤلاء كعنصر إحالي إلـــى مـــتقدم لما هو سابق غالباً ، وأعتقد أن ثمة مفارقة في الاستعمال بين هؤلاء الدالة علـــى القريب، وذلك الدالة على البعيد، سواء في المكان أو الدرجة، وغالباً ما تأتي (ذلك) كعنصر إشاري / مفسر إلى ما هو سابق تالية لــ (هؤلاء) .

وبناء على ذلك، فإن كلاً من " هؤلاء " و " ذلك " يحيل إلى سابق، كما هي الحال في الذين والأسماء الموصولة، غير أن ثمة مفارقة ماثلة بينهما تتمثل في :

١ـ أن إحالـة اسم الموصول تحيل إحالة أضيق وأوسع، فكلما تتكثف أدوات العطف بعدت المسـافة بيـن الإحالـة بالاسـم الموصول وما يحيل إليه، وفي مثل هذه الحالة قد تكون الإحالة:

ـ بالاسم الموصول المذكور، وهنا تحيل إلى العنصر الذي يمثل المركز الرئيسي .

ـ بالاسم الموصول المقدّر (محذوف)، وواضح من خلال العطف على الاسم الموصول المذكور قـبله اختصاراً، فإذا تجاوز الاسم الموصول حدود الآية الواحدة، فالإحالة واسعة، وكلما ابتعدت الإحالـة (الاسـم الموصول) عن المركز الرئيسي، كانت الإحالة أكثر وسعاً، وبالتالي فإن الاسم الموصول يقع الموقعين معاً .

١ـ الإحالـة باسم الإشارة : أولئك، وذلك، فإن إحالته في حالة وجوده مع الاسم الموصول كعنصـر مفسـر/إشـاري، إنما تحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول، فإذا كان الاسم الموصـول يقع الموقعين ـ كما أشرت إلى ذلك أعلاه ـ فإن اسم الإشارة يحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول .

٢ـ يلاحـظ أن الإحالة المعجمية والتفسيرية، حين تتجاوز حدود الآية أو داخلها تأتي في مواضـع عـدة ومعها عنصر مفهومي آخر، يربط بين آيتين أو أكثر من ذلك، قد تصل في بعـض المواضـع مـن السـورة، وكلها في قصار السور، وهي تتراوح ما بين الإحالات بالضـمائر، والاسم الموصول وأدوات العطف، وعناصر مفهومية أخرى تتعاون في تماسك بنية النص القرآني .

وينبغـي أن نشـير إلـى أن هذه الجذور الدلالية التي يحيل إليها ويفسرها الاسم الموصـول والعناصـر اللغوية الأخرى، تحيل إحالة مطابقة، بمعنى أن لفظ (المتقين) مثلاً الـوارد فـي البقرة/٢ يوجد له اسم آخر يلحق به في النص القرآني، يحيل إليه بشكل غير مباشر إلى المواضع الأخرى وتمثل : الذين، الذي، التي، الأسماء الموصولة الأساسية التي تعـتمد علـيها الإحالـة المعجمـية، وبالتالـي تسقط العناصر الموصولة الأخرى من هذه الوظيفة.

<u>**ثانياً: الاسم الموصول يمثل عنصراً إحالياً وتقابلياً في آن واحد :**</u>

وفـي هـذه الحالة يعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي أوجز عناصرها في هذا المطلب .

١ـ تأتـي مـن خلال الاسم الموصول، ويمثل هذا العنصر أولى أدوات الإحالة، سواء إلى القريب أم البعيد، وغالباً ما تكون إحالة إلى متقدم ـ كما مضى بيانه في موضعه ـ ويأتي هذا الربط بالاسم الموصول من خلال مستويات عدة أبرز جوانبها فيما يلي :

ـ يمثل الاسم الموصول يمثل :

ـ عنصرا إحالياً إلى متقدم في ذات الآية .

ـ عنصراً إحالياً إلى متقدم داخل السورة .

ـ عنصراً إحالياً إلى مواضع أخرى، وهي تأتي من خلال عنصرين، إما إلى سابق عليها، وإما إلى لاحق لها .

هذا فيما يتعلق بالاسم الموصول في ذاته، وهو في مثل هذه الحالات يمثل مركزاً، ومما يدعم هـذا الاستخلاص أن كل الإحالة بالضمائر المختلفة، تحيل إليه وتعود عليه، وهذا يحدث تماسكاً نصياً من خلال هذه الإحالات، وفي هذا السياق، أود أن ألفت النظر إلى أن الضمائر المختلفة تأتي في إطار :

١ـ ضـمائر تعمـل علـى الربط، داخل حدود الآية، وتمثلها أدوات الربط التي تربط داخل الجملة فقط .

٢ـ أدوات ربط تتعدى حدود الآية إلى أكثر من ذلك، وقد يصل إلى مدى أبعد .

علـى أنني أقرر أن هذه الأدوات تمثل أدوات ربط خاصة بـ " بنية السطح "، وهنا نلاحظ أن عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم متنوعة وكثيرة منها :

ـ مـا هـو رابـط سطحي : ويأتي خلال عدد من الإحالات القريبة والبعيدة، والتي أشرت إليها .

ـ مـا هـو مفهومـي : ويأتي من خلال عدد من الوظائف المفهومية الحابكة لبنية النص .

تمـثل الإحالـة بالاسـم الموصـول إلى مواضع مختلفة سمة جوهرية ينتج عنها تماسـك بيـن بنية السطح للنص، ويترتب على هذا التماسك السطحي تماسك دلالي، وهذه رؤية موجزة أفصل فيها القول .

نلاحـظ أن الاسم الموصول، يأتي في النص القرآني معه ذكر المؤمنين، ثم وصف وتفصيل (قد يكون داخل الآية، وقد يكون خارجها) ثم يكرر الاسم الموصول مرة أخرى،

غـير أن الإحالـــة هنا تحيل إلى الكافرين ــ مثلاً ــ أو أحد مشتقاته الدلالية، وتكررت هذه المقابلـــة فـــي مـــثل هـــذه المواضع، حتى أننا أعددناها عنصراً رابطاً، وإن كانت عنصراً مفهومياً، ومن هنا فإن الإحالة تأتي من خلال :

١ــ إحالـــة بنـــية السطح : وتأتي في المستويات الواردة أعلاه، وهي روابط ذات أثر كبير يـــتجاوز مداهـــا حدود الآية والسورة والجزء إلى مواضع مختلفة من صفات المؤمنين أو الكافرين أو ما يدور في فلكها، وجاءت الإشارة إليها فيما ورد فوقاً .

٢ــ إحالـــة بنـــية العمق : وهي عنصر مهم في ربط أكثر من آية، وإن بقي نطاقه أضيق داخـــل حـــدود عـــدد من الآيات أو السورة، على أية حال هو لا يتجاوزها؛ لأنه يظل يعمل كعنصر مقارنة بين متقابلين، وبالتالي فربطه أضيق من الربط السطحي .

٣ــ وإذا كانـــت الإحالـــة المعجمـــية والتفسيرية تأتي من خلال : الذين، الذي، التي، فإن الإحالـــة الخاصـــة بالمقابلة تأتي من خلال (الذين) منفردة؛ أي (الذين) في كلتا الطائفتين، و(مـــن) و (التي) ، وهي تأتي في بعض الحالات مع (الذين) وتمثل هذه السمة الجوهرية لمثل هذه المواضع .

وبـناء على " قاعدة النص" فيما يختص بالأسماء الموصولة، فإن : الذين، الذي، التي، من، تمثل العناصر الأساسية، فيما يتعلق بالوظائف الأساسية للأسماء الموصولة في القرآن الكريم .

ــ الاسم الموصول يمثل عنصراً رابطاً فقط :

وتأتي هذه المواضع كعنصر رابط داخل حدود الآية، وتأتي الأسماء الموصولة في هذه المواضع لتمثل عنصراً رابطاً فقط بين جملتين داخل حدود الآية من خلال الإحالة .

فإذا كانت : الذين، الذي، التي، من، تأتي في " قاعدة النص "، فإن (ما) الموصولة لـــم تذكـــر في المواضع السابقة، وبالتالي ظل عملها مقصوراً على اعتبارها اسم موصول فقـــط (عنصـــر إحالـــة) بين جملتين داخل حدود الآية الواحدة، على الرغم من أنها تأخذ معـــنى (الـــذي) إلا أن تتـــبع المواضع التي وردت فيها أظهر تميز(الذي) عن (ما) على الـــرغم مـــن قـــول النحاة إن (ما) بمعنى (الذي)، إذ تبيّن النتائج أن (الذي) لها وظائف دلالية وإحالية غير متوفرة في (ما) .

علـــى أننا ينبغي أن نشير إلى أن الأسماء الموصولة ــ الذين، الذي، التي، من ــ لـــم تـــأت فيما أوردناه لها من قواعد النص فيما سبق، وإنما تمثل تلك العناصر الأساسية

لهـــا، بـــيد أنـها في سياقات عدة، تؤدي وظيفة (ما)، كما تؤكده النصوص، وبالتالي فإن وظـــيفة هـــذه الأســـماء الموصولة المذكورة أكثر تعقيداً من وظيفة (ما)، إذ إنـها تعمل في اتجاهات عدة وسياقات مختلفة، وبالتالي فإن هناك عدداً من الأسماء الموصولة لم يأت لها ذكر، تبعاً لقلة ورودها في النص القرآني، ومن ثم في دورها في ربط البنية الكلية للنص.

تـــتعدد أشكال الروابط النصية تبعاً لاختلاف السياقات اللغوية وغير اللغوية، وبناء علـــى ذلك، فإن ثمة روابط داخلية، كالروابط الزمانية والسببية (الترابط السببي) والربط المرجعي والتنويع فيه .

وإذا كـــان كـــل نص له تصنيفه الذي يوائمه، فإن مرده إلى طبيعة النص، فتقسيم بنية النص إلى وحدات، تناسب الوحدات النصية للمحادثة، مفارقة لتقسيم الرواية، وتقسيم كـــل مـــنهما مختلف عن تقسيم الشعر، وعلى ذلك كله، فإن تقسيم بنية النص القرآني إلى وحـــدات، خلافـــاً لما هو سائد في النصوص الأخرى، أمر مقرر في الدرس النصي مراعاة لطبـــيعة النصوص من ناحية، ولأن هذا يؤدي إلى استخلاص الروابط المتنوعة التي تقبلها النصـــوص ولا تردها، وإلى التقسيمات المختلفة التي تشكل أساساً لتوزيع النصوص . وإذا كانت النصوص تقسم إلى محادثة، ونصوص روائية، قصصية وشعرية على اختلافها، فإن اللافت للنظر هنا في النص القرآني أنه يحتوي على :

١ــ جوانب قصصية، تمثل سمة بارزة فيه .

٢ــ جوانب من المحادثة أو لغة الحوار .

٣ــ جوانب من اللغة الواصفة .

٤ــ جوانب تتعلق بالإيقاع الصوتي (الانسجام الصوتي) ... الخ .

وبالتالـــي فـــإن كل نوع يحتاج إلى كشف السمات الرابطة، وبناء عليه، فإن الذي يقـــع ضـــمن إطار هذا البحث هي الجوانب التي يمثلها النص القرآني في العناصر المشار إلـــيها أعـــلاه، إنما هي اللغة الواصفة، ذلك أن جملة الصلة في القرآن الكريم، وهي رؤية مقـــررة لـــدى النحاة تنتمي إلى التركيب الخبري، وهي تعتمد على النصوص الوصفية، أو هـــي ســـمة أساســـية ترتبط بها، وتبدو هذه النظرة منطقية في ضوء رؤية البلاغيين، أن الخبر هو الذي يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، خلافاً للتركيب الإنشائي، الذي لا يجوز الحكم عليه بالصدق أو الكذب .

وإذا أردنـــا تطبـــيق هذه الرؤية على جملة الصلة في القرآن الكريم، أمكننا فصل القول بأنها جملة تحتمل الصدق والكذب، وهي جملة وصفية، ومن هنا فإن القاعدة النصية المستخلصـــة تنسحب عليها فقط دون غيرها من السمات اللغوية الأخرى، إذ يحتوي النص القرآنـــي علـــى أنواع شتى من أنواع النصوص، وما خلصت إليه الدراسة يندرج في إطار الجملة الخبرية عامة، وجملة الصلة خاصة .

إلا أن هـــذا يمكـــن أن يؤخـــذ مـــن منظور آخر، أن المتلقي له دور في ربط هذه العلاقات الكائنة في النص، وبالتالي فالمعول على المتلقي .

ـ التـــتابع الزمنـــي فـــي النص، أي أن كل فعل مترتب على زمن الفعل الآخر، وغير مناقض له، وإنما يتسق معه ويكمل معناه .

ـ الـــروابط ، وأحســـب أن المتلقي عليه معّول في فهم هذه العلاقات القائمة بين بنية الـــنص، وأنهـــا تعمـــل على سبك وحبك أجزائه، بداية بالبنية الصغرى وانتهاء بالبنية الكبرى .

ـ الجملـــة المكملة في النص : تؤدي دوراً تفسيرياً، لا تقل أهمية عما يمكن أن يكون عمدة فيه، وتسمى لدى النحاة بالفضلة، ومن هنا يكون دورها تفسيرياً .

وأحســـب أن اعتبار بعض الجمل (فضلة) في النص، يمكن أن ينطبق على جملة الصـــلة، لكن ليس في كل الحالات، وإنما في حالة اعتبارها عنصراً مفسراً وهي سمة تتفق فـــيها (الذيـــن، الذي، التي)على اختلاف بينها في النسبة، على أية حال، فإنها تمثل سمة جوهرية في هذه الأسماء .

وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أن التتابع الزمني للأفعال المكونة لبنية الأفعال الإنجازية المكونة لجملة الصلة، تأتي متسقة مع كل الأزمنة، ليس على مستوى :

ـ الآية الواحدة .

ـ العدد من الآيات .

ـ السورة الواحدة .

ـ النص القرآني .

أما الروابط النصية الأخرى (سواء العطف منها أم الضمائر المتصلة فقط) فقد حاولت ما وسعني الحوال، أن أبرز بعضاً من جوانبها، وتبقى السمة المستخلصة كوظيفة لاسم الموصول، وهي :

ـ التفصيل بعد الإجمال (التفسير) .

ـ المقارنة، كعناصر دالة على أهمية اسم الموصول في التماسك الذي يتعدى ما فوق الجملة إلى التماسك الذي يتجاوز الآية والآيتين .

وتعد هاتان الوظيفتان المذكورتان أعلاه وظيفتين تنتميان إلى العنصر المفهومي (Kohärnz)، وهو ما يتعلق بـ (بنية العمق)، وإذا عمقنا الرؤية فيهما، أمكننا أن ندلي بدلونا في ما يتعلق بهما على النحو التالي :

العنصر المفهومي الأول : التفسير المعجمي والتفصيل في النص القرآني أن هذه السمة الجوهرية، تأتي لتمثل هذه الوظيفة كتفسير للعنصبر المعجمي الكائن في نهاية الآية السابقة، أو في ذات الآية، وفي كل منها تأتي الإحالة إلى عنصر متقدم، غير أن هذا التفسير ليس في كل المواضع، وإنما يأتي كمادة تفسيرية لما هو سابق عليها، ويدل على أن هذه الوظيفة فضلة أن :

١ـ النص يمكن أن ينتهي بدون ذكر هذه الصفات دون أن يكون هناك خلل في البنية الإنجازية للأفعال اللغوية .

٢ـ هناك مواضع عدة من النص القرآني تنتهي بـ (المتقين) أو بـ (المحسنين) وبـ (المخبتين) والكافرين والفاسقين ... الخ دون أن يأتي في الآيات التاليات تفسير وتوضيح (وصف)، وهذا ما يدعم أن هذه الوظائف فضلة، ومرد هذه الرؤية أن طبيعة الصفات محددة، وبالتالي فإن :

١ـ ما ذكر في المواضع المحددة الأخرى والمشار إليها في البحث، تغني بما هو ليس وارداً في المواضع الأخرى .

٢ـ حدوث تكرار دون داع، ومن ثم يحدث خلل في البنية اللغوية .

٣ـ ذكر الصفات في مواضع، وعدم ذكرها في مواضع أخرى من شأنه أن يعكس التماسك بين هذه المواضع عن طريق المقابلة .

٤ـ هذه الصفات لو ذكرت في كل المواضع ما أمكن حصرها والوقوف عليها، بما يستدعي عناصر واصفة غاية في الاستطراد، لا داعي لها .

العنصر الثاني : المقارنة / المقابلة :

وتكون دائماً بين متضادين، وقد كشفت الدراسة أنها تأتي من خلال مستويات عدة :

- داخل الآية .
- خارج الآية (أو الآيات) .
- خارج الآية (متجاوزة عدداً من الآيات) من خلال النتيجة لكل فريق، فقد تكون النتيجة :
  - داخل حدود الآية .
  - خارج حدود الآية .

وهذه النتيجة، قد تؤكد بمؤكدات لغوية، كالتكرار والضمير المنفصل واسم الإشارة وغير ذلك، في مقابل الجانب الآخر حين تتعدى حدود الآية، وبالتالي تكون الروابط من خلال هذه الصفات، إلا أن تكرار هذه السمة التركيبية وهي سمة مفهومية في النص القرآني، جعلت منها سمة جوهرية، واستطاعت الدراسة أن تستخلص وظيفة المقابلة، ومن هنا فإن عدم الاعتداد بها لا يقلل من أهمية العناصر اللغوية الماثلة على سطح القرطاس .

غير أن هذه الوظائف المفهومية مهمة في بيان التماسك الدلالي الذي يتعدى ما فوق الآية، خاصة أنها وظائف غير ماثلة في البنية اللغوية، وبالتالي فإنها تعمل على تماسك أجزاء عدد من الآيات . على أنني لم أجد أحداً من النحاة أو المفسرين ذكر هذه الوظيفة في ثنايا معالجة هذه المواضع، إلا ما أشار إليه الزجاج والعُكبري في بعض المواضع بما يمكن أن يكون مشاكلاً للعنصر الأول : التفسير المعجمي، إلا أن العنصر الثاني لم أجد أحداً أشار إليه من قريب أو بعيد في حدود ما أعلم .

وهاتان الوظيفتان ترتبطان بالتماسك الدلالي، بجانب عناصر لغوية ماثلة في بنية السطح، وتنتج من خلال العناصر المفهومية والعناصر اللغوية معاً العناصر الرابطة المختلفة، كما أشارت الدراسة إلى جوانب ذلك ثمة، وعلى أية حال، فإن الدراسة أشارت إلى الروابط النصية فيما يتعلق بـ (الاسم الموصول) فقط، ومن هنا فإنه يمكن أن نستخلص عناصر أو وسائل تنصيص أخرى، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال متابعة عدد من

النصوص المختلفة، وقد خلص إيزنبرج[٤٩] (Isenberg) إلى عدد من وسائل بناء النص ، بناء على دراسة عدد من النصوص، وموجزها كالتالي :

١ـ البنية السطحية : **Thematisievung**

٢ـ الربط السببي : **Kausalanknüpfung**

٣ـ الدافع / الحافز : **Motiv _ Anknüpfung**

٤ـ التفسير (التحديد) : **Diagnostische Interpretation**

٥ـ التخصيص : **Spezifizierung**

٦ـ التنظيم (الترتيب) : **Metasprachliche Einordnung**

٧ـ التتابع/ الربط الزمني : **Temporalanknüpfung**

٨ـ التعليق الافتراضي : **Anknüpfung Van Voraussetzungen**

٩ـ التقابل الاستدراكي : **Adversative Kontrastierung**

١٠ـ الانسجام (التوافق) بين السؤال والجواب :

Korrespondenz– Antwort– Frage

١١ـ المقارنة : **Vergleisch**

١٢ـ تصحيح الأقوال المذكورة سابقاً : **Korrektur Von Vorerwähnten Aussagen**

وقد اعتمد على استخلاص هذه العناصر من نصوص متنوعة، تنتمي إلى مستويات متباينة في استعمال الروابط، مما أتاح له هذا الاستخلاص العام، مما من شأنه أن يعكس الملامح الجوهرية التي تمثل سمات للنصوص على اختلافها، وقد أدى هذا التصور إلى اعتماد نظرية تعتمد على عناصر مختلفة، منها ما ينتمي إلى بنية السطح، ومنها ما ينتمي إلى بنية العمق،ومنها ما يعتمد عناصر تداولية وغير ذلك، وعلى الرغم من اعتماده على نصوص متباينة فيما توصل إليه، فإنه قد عوّل على نوعين من النصوص، مما يشير إلى أنه لم يفصّل العناصر الأساسية المكونة لبنية الأفعال الإنجازية من جهة، وأن كل نوعية من النصوص لها سمات/ بنية لغوية منجزة لها من جهة ثانية، وأن هذه الجمل هي التي توجه كل الجمل الموجودة في النص، وهذا الارتباط يجب أن

---

[٤٩] H . Isenberg : Überlegungen zur die Texttheorie, S .١٥٩،١٦١ .

يكـون بشـكل آلــي، وهـذا يؤكد أن ما استنتجته أعلاه يمثل منهجية أقرب إلى العنوان المقترح .

وتبدو لي رؤية أخيرة في هذا الشأن، أود التنبيه عليها، أن ما توصّل إليه القدماء في الدرس التفسيري، تؤكده جوانب عدة من البحث النصي، ومن ثم فإن هذا البحث يعتمد أفكـار النحاة والانطلاق منها،وتوسيع النظر والإفادة مما قدمه المفسرون، لاستخلاص ما يمكن أن يمثل تصوراً لرؤية النحاة أو بعض المفسرين، أو ما يمكن أن يمثل تصوراً عاماً، يبرز جوانب الاسم الموصول في تشابك وتماسك العناصر اللغوية .

٦ / . : المراجع :

٦ /١: العربية :

١ـ د. إبراهيم بركات : الإبهام والمبهمات في النحو العربـــي، دار الوفـاء بـالمنصورة، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٧م .

٢ـ د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : الدرس النحوي النصي في كتــب إعجـاز القـرآن الكريم، دار فرحة ، المنيا ، ٢٠٠٣م .

٣ـ د. أشرف عبد البديع : العناصر الأساسية المكونة لنظرية النص "ليزنــبرج نموذجـا"، دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور.

٤ـ د. أشرف عبد البديع : دلالة التراكيب عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩ .

٥ـ د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص، بحث غير منشور.

٦ـ د. خليل عمارة : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، دار البشـير، عمـان، الأردن، ١٩٨٩م .

٧ـ د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النـــص، بحث غير منشور .

٨ـ د. سعيد حسن بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة، مجلة علامات، عدد ٣٨، ٢٠٠٣م .

٩ـ السيوطي : أسباب النزول، دار قتيبة. الطبعة الاولى، ١٩٨٧ .

١٠ـ د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م .

١١ـ عباس حسن : النحو الوافي، الجزء الأول، دار المعارف(القاهرة)، الطبعة الخامسة، د.ت .

١٢ـ العُكبري : التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٣ـ د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية في العربية، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى، ١٩٨١ .

١٤ـ الفراء : معاني القرآن، الجزء الأول، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠. الجزء الثاني تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد على النجار، ط بيروت، ١٩٨٠.

١٥ـ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

١٦ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ ،١٩٦٧.

١٧ـ القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من أساتذة اللغة العربية بالأزهر، مطبعة السنة المحمدية، د.ت .

١٨ـ ڤولفجانج هاينه مان / ديتر ڤيهڤجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه أ . د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

١٩ـ الداني : الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٣ .

٢٠ـ الرضي : شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، جامعة قاريونس، ١٩٧٨ .

٢١ـ الرماني : معاني الحروف، حققه وخرج شواهده وعلق عليه وقدم له د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨١،

٢٢ـ الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، القسم الثاني، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

٢٣ـ الـزجاج : حـروف المعاني، حققه وقدم له د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ .

٢٤ـ الـزجاج : . معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م .

٢٥ـ عـبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨ .

٢٦ ـ محمـد اليعلاوي : ملاحظات على لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول، حوليات الجامعة التونسية، العدد السابع، ١٩٧٠ .

٢٧ـ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة، د.ت .

٢٨ـ ابن يعيش : شرح المفصل، الجزء الثالث، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت) .

٦ / ٢ : المراجع الأجنبية :

1- Bussmann H . : Lexikon der Sprachwisseschaft , Alfred Kröner Verlg : Stuttgat, 1990 .

2- Beaugrande R. De / Dressler W . :Einführung in die Textliguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981.

3 -Isenberg H. :Überlegungen zur Texttheorie. Jens Ihwe (Hrsg) In : Literaturwissenschaft und linguistik, Ergebnisse und Perspektiven, Band 1 : Grundlagen und Vorussetzungen , Athenäum,1971